

حوار العقل في ضوء
قصة نبي الله سليمان ومملكة سبأ
من خلال سورة النمل
إعداد
الدكتور/ صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية التربية جامعة الملك عبد العزيز

Dialogue in the light of reason
The story of Prophet Solomon and the Queen of Sheba
By SORT ALNAML
Preparation

Salah Salem bin Saeed bin Baothman
Assistant Professor, Department of Quranic Studies, Faculty of
Education Abdul Aziz Jamahalof

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم
لا لنا علم إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم .

وبعد :

فإنَّ إنسانية الإنسان تفرض عليه ألا يعيش وحده مُنْعزلاً عن الناس ، ولكن يتفاعل مع
الآخرين ، ليقترّب عقله من عقولهم ، ويفتح فكره على أفكارهم ، ويميل بقلبه نحو ما يعتقد
أنّه صواب ؛ فالهدف من تنوع الخلق هو التعارف للتعايش الذي لا يمكن أن يتحقق إلا
بحصول التفاهم . قال جل وعز ﴿يَتَأَمَّلُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ - الحجرات ١٣- لهذا يُصبح الحوار ضرورة من
ضرورات التعايش والاستقرار ؛ لأنه وسيلة التفاهم ، والتواصل ، وهو أسلوب الدعوة التي
سلكها الأنبياء والرسل ، ومن اقتدى بهم ، وهو أسلوب القرآن الذي نزل به ، وقد جاء الحوار
في القرآن خصوصاً في القصص بأسلوب فني يجسد الواقع مليئاً بالحركة ، والحيوية ،
والإعجاز . يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب : " وللحوار في القصص القرآني سمة خاصة لا
تجد لها أثراً في القصص الأدبي على الإطلاق ، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار
لشخصيات المتحاورين ذلك أننا في القصص القرآني لا نجد فرصة أبداً نقلت فيها من هذا
الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ، ولها منطقها
، وتفكيرها ، ولها منزعتها وإرادتها في المواقف التي تقف في الحديث ، وفي الأسلوب الذي
تعبّر به عن موقفها ، دون أن تستشعر بأن ملقناً من ورائها يلقيها الكلمات التي تلقى في
المشهد ، أو يحركها الحركة التي تؤدبها فيه ... على حين أننا نجد ذلك الشعور غامراً فياضاً
في أكثر مواقف القصص الأدبي ، حيث نرى الأشخاص يتحدثون ، ويتحركون بما يضعه
المؤلف على ألسنتهم من كلام ، وما يشير إليهم به من حركة ، ولعلّ أوضح مثال لهذا
الحديث الذي حكاه القرآن على لسان الهمداني موقفه مع سليمان ، حيث لا يشعر القارئ أو
السامع أنه في مواجهة حيوان أعجم ، وأن هذه الكلمات التي نقلت عنه ليست إلا تخيلاً أو
تعبيراً عن واقع الحال ، وإنما نشعر شعوراً صادقاً بأن هذا الحيوان قد نطق فعلاً بهذه الكلمات
، وأن ما نطق به إنما كان تعبيراً صادقاً وتصويراً صحيحاً لمشاعره ومدركاته ، وأن كل

كلمة قالها إنما هي منه عن علم وفهم ووعي ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْكِرُ بَقِينَ﴾^(١٢) إني وجدت امرأة تتلى عليهم وأوتيت من كل شيء ولما عرّش عظيم ﴿١٣﴾ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دونه الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿١٤﴾. من أجل هذا كان الحوار القصصي القرآني ذا أثر بعيد في إحياء المشاهد التي ضُم عليها الحدث القصصي.

إننا في هذا الحوار نتلقى الكلمات من فم أصحابها، حيّة نابضة بالمشاعر والأحاسيس فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها ينطق بها محملة بحججاته، ونبرات صوته ، وما انطبع على وجهه من آثار^١ .

وإنما ذكرت هذا النقل على طوله لازتياده بما نحن بصدد دراسته من إظهار الجانب الفني في أسلوب حوار القرآن ، وتعلقه بالآيات التي سوف نقوم بإلقاء الضوء عليها ، وحسب للقرآن في هذا المقام ، أنه في قص الحوار بين الأطراف يسبغ جمالية أدائه البياني ، وبراعة أسلوبه على المخالف ، فعندما نقرأ في القرآن ، وينتقل الكلام من كلام الله تعالى بأسلوبه العالي الرفيع لا يقص حوار المخالف بلغة ركيكة ، وأداء رديء ، وبيان ضعيف ، بل بالعكس إن القرآن يخلع أداء الجمال البياني على الجميع ، " فنجد تعبير القرآن عن المخالف أجمل من تعبيره هو لو كان هو المتحدث ، فالدهريون يقولون : (أن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلى) والقرآن يقص عنهم ﴿وَقَالُوا مَا إِلَّا خَيَاتَانَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ - الجاثية ٢٤- ، فالتعبير القرآني أبلغ وأجمل ، لأنه يمنح المخالف فرصة الحضور في التاريخ ويمنحه فرصة الحضور في الجمالي ، الحضور المعنوي^٢ .

ومن الملاحظ في الحوارات القرآنية تعالى القرآن عن الزمان ، والمكان والتجرد عن الأشخاص ، فالأسماء الدالة على الزمان ، والمكان ، والأشخاص لا تذكر في القرآن إلا نادراً ، ومعنى ذلك أن القرآن ينطلق من الواقعة ثم يتجرد عنها.

ولقد فهم المسلمون هذه الروح فوضعوا قواعد للتفسير تتسجم مع هذا (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ؛ لبيان أنها قوانين عامة لا تنحصر ، ولا تموت ولا تجمد عند الحادثة .

^١ الخطيب - عبد الكريم ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص ١٢٩ وما بعدها بتصرف قليل ط. دار الفكر العربي - مطبعة المدني .

وهذا يدلنا على أن القرآن الكريم يعطي الضمانة الأساسية ؛ نبقى الحوار صالحا لكل زمان ومكان ، ولهذا يمكن للمسلم أن يأتي إلى واقعة في زمانه ، ثم يأتي بآيات من القرآن فكأنها وصف لواقع ، أو معركة أو صراع يمكن الاستشهاد به في حدث واقع دون تقييد بالسبب الذي نزلت من أجله الآيات¹ .

ولقد كانت الحيادية في عرض الحوار في القرآن واضحة، فالقرآن لا يدعى دعوى إلا كان له من نفسه دليلاً عليها ، كما أنه يستعرض الرأي الآخر حتى ولو كان فاسداً دون بتر للنصوص ، كما أنه يعطي المخالف الفرصة الكاملة لعرض رأيه وتوضيح فكرته ، وهذا تأصيل لمنهج الحوار العقلي دون تحويل الخلاف إلى صراع ذاتي ، أو شخصي ، وفي هذا درس من القرآن إلى الانفتاح وتصفية النفوس بالفكر القائم على البرهان والنزاهة في طلب الحق.

والبحث الذي نحن بصدد دراسته (حوار العقل في ضوء قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ من خلال سورة النمل) يجسد صورة من صور تحويل الخلاف من الصراع إلى الحوار ، وهو نموذج يقصه القرآن علينا لمواجهة حصلت بين قوتين عظيمتين كلاهما كان لا يعرف شيئاً من الآخر ، وفجأة إذا بهما أمام بعضهما البعض ، وكان من الممكن في هذه اللحظة أن ينقضاً على بعضهما دونما تعقل فيفتنر القوي الضعيف ، ولكن برز العقل في هذا المقام ؛ ليقوم بدوره ، ويلقي بظلاله ، ومن اللافت للنظر في هذه القصة أن الحوار لم تبرز فيه صورة العداء ، أو التجاهل للطرف الآخر .

والقرآن يعطينا من خلال هذه القصة العبرة عند تواجه القوي إذ لا بد أن تحسب الحسابات لا ما نراه الآن من محاولة فرض الهيمنة والسيطرة ، وإقصاء الآخر من الحياة ، والاستهانة بعقله لخلافات فكرية وعرقية ، وأطماع مادية .

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون كالتالي:-

مقدمة وتمهيد ، وأربعة مباحث .

المقدمة فكانت على النحو التالي :-

١- بين يدي سورة النمل .

¹ - ينظر الإدريسي ، المقترب أبو زيد ، مقال لغة الحوار . مجلة الإرشاد ، موقع الكتروني بتصرف .

٢-اهتمام القرآن الكريم بطريقة الحوار .

التمهيد: اشتمل على النقاط التالية:-

١-مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح .

٢-عناصر الحوار وفيه :-

١-شخصية المتحاورين .

٢-المناخ الحوارى .

٣-أسلوب الحوار .

وأما المباحث فكانت على النحو الآتى :-

المبحث الأول: تحصيلات القصة:-

١- سليمان عليه السلام .

٢- الهدهد .

٣- ملكة سبأ .

٤- مستشاري الملكة .

٥- جن سليمان .

المبحث الثاني : أقسام الحوار في القصة .

١-الحوار بين الهدهد ،ونبي الله سليمان ونتيجته.

٢-الحوار بين ملكة سبأ ،ومستشاريها ونتيجته.

٣-الحوار بين سليمان عليه السلام ، ومستشاريه ونتيجته.

المبحث الثالث:

الحوار بين نبي الله سليمان وملكة سبأ .

المبحث الرابع :

نتيجة الحوار .

الخاتمة:

فيها أهم النتائج والتوصيات .

المقدمة وفيها

١- بين يدي سورة النمل.

٢- اهتمام القرآن بطريقة الحوار.

بين يدي سورة النمل

أولاً : مضمون السورة

سورة النمل من السور المكية التي نزلت على رسول الله ﷺ ؛ لتبين أن القرآن هو المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ ، وحجته البالغة إلى يوم الدين ، فوضحت أنه تنزيل من حكيم علیم ، ثم تحدثت عن قصص الأنبياء بإيجاز في البعض ، وإسهاب في البعض ، فذكرت بالإجمال قصة (موسى عليه السلام) ، وقصة (صالح عليه السلام) ، وقصة (لوط عليه السلام) وما نال أقوامهم من العذاب ، والنكال بسبب إعراضهم عن دعوة الله ، ونكذبهم لرسله الكرام .

وما تحدثت عنه بالتفصيل قصة (داود عليه السلام) ، وولده (سليمان عليه السلام) ، وما أنعم الله عليهما من النعم الجليلة ، وما خصهما به من الفضل الكبير ؛ بالجمع بين النبوة والملك الواسع ، ثم ذكرت قصة (سليمان عليه السلام مع بلقيس) ملكة سبأ.

وفي هذه القصة مغزى دقيق لأصحاب الجاه ، والسلاطان ، والعظماء ، والملوك ، فقد اتخذ سليمان الملك وسيلة للدعوة إلى الله ، فلم يترك حاكماً جائراً ، ولا ملكاً كافراً إلا دعاه إلى الله ، وهكذا كان شأنه مع (بلقيس) حتى تركت عبادة الأوثان ، وأنت مع جندها خاضعة مسلمة مستجيبة لدعوة الرحمن .

وقد تناولت السورة الدلائل ، والبراهين على وجود الله تعالى ووحدانيته من آثار مخلوقاته ، وبدائع صنعه ، وسافت بعض الأهوال ، والمشاهد الرهيبة التي يراها الناس يوم الحشر الأكبر ، حيث يفزعون ، ويرهبون ، وينقسمون إلى قسمين :-
السوء الأبرار ، ولذين يكونون على وجوههم في النار^١ .

^١ ينظر الصابوني محمد على الصابوني صفوة التفاسير ص ١٠٠ ، تفسير طبردار الرشيد سوريا حلب بدون تاريخ .

وختمت السورة بخطاب الرسول ﷺ بما أمر به عبادة الله الذي له كل شيء ، وإنذار الكفار بأنهم سيرون وعد الله ووعيده ^(١)

ويمكن إن نلخص مضمون السورة في ثلاثة أشياء اشتملت عليها :-

- (١) خوارق (٢) بينات (٣) أجوبة تشتمل على وعيد
أولاً : الخوارق .

اشتملت السورة على تسع خوارق ترتيبها كما يلي :-

(أ) في قصة موسى نجد ما يلي :-

- (١) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨)
(٢) ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَىٰ يَعْقُبُ بَعُوضَى لَا يَخَافُ إِنِّي لَدَى الْمَرْسُولِ ﴾ (١٠)
(٣) ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوِّهِ ﴾ (١٢)

(ب) ومن قصة سليمان نجد :-

- (٤) ﴿ النَّاسُ عِلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْعَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦) النمل .
(٥) ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨)

- (٦) ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَخِطْبُكَ مِنْ سَبَإٍ بَيِّنٌ ﴾ (٢٢)
٧ ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْتُمْ أَمْ كُفَرْتُمْ مِنْ شُكْرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ ﴾ (٢٠)

(ج) ونجد من قصة صالح ما يلي:-

- ٨ - ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٠)

(د) ومن قصة لوط:

- ٩ - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٥٨)

^١ الخطيب المعروف بابن شهيد ميسلون محمد بن كمال أحمد تظرة العجلان في أغراض القرآن ص ١١٢ ط المطبعة العصرية دمشق بدون تاريخ .

فهذه الآيات جميعاً من خوارق الطبيعة ، وفي ارتباطها بقصص الأنبياء ما يجعلها معجزات من آيات الله التي يؤيد بها رسله إلى خلقه.

ثانيا - البيانات :-

وهي الدلائل على قدرة الله وإلوهيته ، وترد في صورة أمر إلى النبي ﷺ أن يحمد الله ويسلم على رسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته فأحسنوا تبليغها ، وكانوا أمناء عليها ، ثم يرتب على هذا الأمر ستة من الأسئلة يعقبها أمر آخر وذلك على النحو التالي :-

- ١- ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ أَمَا يُشْرِكُوتَ﴾ (٥٩)
- ٢- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُرْآنٍ تَنْسُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠)
- ٣- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١)
- ٤- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ خُلُفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ﴾ (٦٢)
- ٥- ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)
- ٦- ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤) ، ويأتي الأمر الثاني للنبي ﷺ أن يقول ما من شأنه أن يتمم الدلائل السابقة على إلوهية الله .
- ٧- ﴿قُلْ لَا يَمْلِكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥)

ثالثا - أجوبة مترتبة على أسئلة

هذه الأجوبة تشتمل على وعيد لأن السؤال من الكفار جاء على أسلوب الإنكار وهذه الأسئلة جاءت على النحو التالي :-

- ١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَيْنَا لِمُخْرَجُونَ﴾ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨)
 - ٢- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٩)
- وهنا تأتي الأجوبة مشربة بالوعيد على النحو التالي :-

- (١) ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٧٢)
 - (٢) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٧٥)
 - (٣) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦)
 - (٤) ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ ۚ وَإِذَا نَادَىٰ الْمُتَدَبِّرِينَ﴾ (٨٠) ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تَسْمِيعَ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨١)
 - (٥) ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢)
 - (٦) ﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آثَا؟ أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤) ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا طَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظْفَرُونَ﴾ (٨٥)
 - (٧) ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِّعْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧)
- ثم تختتم السورة بالإشارة إلى جملة الآيات إذ يقول الله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيدُكُمْ

عَائِنِي ۖ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٠)

والحقيقة أننا لو نظرنا إلى بناء السورة من جهاته الثلاث (الخوارق - البينات - الأجوبة على الأسئلة) .

وجدنا أنها ذات علاقة واضحة لما نحن بصدد دراسته فالله تعالى حاور عباده بطريق المعجزة ، وبإقامة الأدلة على الوهيته ، وبالإجابة على أسئلتهم التي أنكروا فيها وجوده وأنكروا البعث والحساب ، وتلك طريقة القرآن في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وعلى صدق رسله فيما يبلغون عن ربهم ، فالغاية من هذا كله الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي وارتياح نفسي لا يخالطه شك.

أما مستوى لغة القرآن : فتعتبر اللغة القرآنية لغة الدعوة إلى الحوار والتطبيق له وذلك استناداً إلى عدة أدلة من بينها : أن مادة (القول) وما اشتق منها كقال ويقول ، قل ، وقالوا ، ويقولون ، وقولوا الخ هذه المادة التي تدل على التحوار والمناقشة والمراجعة بين الناس في أمور معينة قد تكررت في القرآن أكثر من ألف وسبعمائة مرة ، كما أن كلمة (حوار) رغم أنها لم ترد مصدراً ، وإنما وردت مشتقات لها مثل يحور ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ (١١) الانشقاق - ١٤- ، ويحاوره في قوله تعالى من سورة الكهف ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (٢١) وتحوار كما في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١) المجادلة (١) فإن هذه الاشتقاقات لم تخرج عن معنى المراجعة والمجاوبة عند أهل التفسير والدارسين للغة القرآن واللذان هما جوهر الحوار في اللغة .

وأما مستوى تمييز القرآن للحوار المدعو له :

فقد تم التأكيد على جدوى الحوار في القرآن الكريم والدعوة إلى ممارسته في إطار سنة الاختلاف والتنوع المقررة في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أَتَمَّةً وَجَدَّةً وَلَا يَبْرَأُونَ خَلْقَيْنِ ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١١٩) هود (١١٨-١١٩) إذ في هذا الإطار تم فتح باب الدعوة إلى الحوار الذي يقر الاختلاف ويدعو إلى الحقيقة والتوحيد ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١١) آل عمران (٦٤) بل وصل الأمر إلى الدعوة إلى ممارسة الحوار في الحياة اليومية والعلاقات الإنسانية المتواصلة . وذلك من خلال المبادرة بالتحية والسلام وردها بقول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحِوُوا بِأَحْسَنِ مَنَہَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٨١) النساء (٨٦) . فالسلام لغة حوار بل هو لغة الحب كما قال رسول الله ﷺ (أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)^١ .

فالقرآن في دعوته يدعو إلى لغة قناعة العقل لا إلى لغة العنف والإجبار والتعسف وإن من يقرأ القرآن الكريم بإنصاف يجد أن منهجيته في الحوار لا حدود لها ، لا من ناحية

^١ مسلم بن الحجاج - الصحيح كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ط/ دار إحياء التراث بيروت/ محمد فؤاد عبد الباقي.

الناس الذين يمكن أن نفتح معهم أبواب الحوار ، ولا من ناحية الموضوع الذي يمكن أن يتم الحوار بشأنه ، ولا من ناحية الوقت الذي يطرح الحوار فيه ، فقد طرح القرآن الكريم قضية وجود الله عز وجل ووحدانيته على طاولة الحوار فنفى بهذا الطرح أن يكون هناك موضوع يمكن للعقل الإنساني أن يعمل فيه خارج دائرة الحوار .

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ﴾ (الطور ٣٥). وقال جل شأنه في سورة النمل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل ٦١) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْذَبُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ خُلَافًا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَانُوا بِرَهْنِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ (النمل ٥٩-٦٤). بل طرح القرآن الحوار حول النبي ﷺ، أهو نبي، أم إنسان عادي، وهل هو مجنون، أو ساحر، أو كاهن؟ يقول تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُنْقَرِعَةٍ مُنْزِلَةً وَالْإِنْسَانُ جَاهِلٌ مُذِرٌ ۚ وَإِلَّا يَذَّيْبُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل ٦٦) سبأ (٤٦) وغيرها من الآيات .

إن القرآن الكريم يعتبر الحوار قاعدة أساسية في الدعوة إلى قضاياها ، ولم ينأ بأية قضية مهما كانت قدسيّتها عن دائرة الحوار ، واستنكر موقف الرافضين للحوار المصيرين على عدم ممارسته في قوله تعالى :-

﴿قَالُوا فُلُونَا فِي أَكْنُثَةٍ مَّا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ رَفِيعًا فَإِنَّا وَفَرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِزْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾﴾
(فصلت ٥) وقال عز وجل : ﴿وَمِن النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُفِشَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَتَعْبُدَهَا هَٰؤُلَاءِ أَوْلِيَّكَ لَمَن عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ وَإِذَا نَادَىٰ عَلَيْهِ أَإِنَّا وَلَوْ مُّسْتَكَرًّا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي

أَذْنِيهِ وَقَرَأَ فَبِئْرُهُ بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٧﴾ (لقمان ٦ ، ٧) . فانظر كيف يفتح القرآن أبواب الحوار بلا حدود^١ .

ولم يتوقف القرآن عند الدعوة إلى الحوار كآلية من آليات التوافق ، والتلاقي في إطار سنة الاختلاف والتنوع بل جاء الحوار في القرآن متميزاً على مستويات عدة بدأت عند خلق السموات والأرض ، فيقول تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فصلت (١١)

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب ٧٢) ؛ بل لقد فتحت البشرية عينها على الكون لتسمع حواراً لها وهي في صورة الذر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف ١٧٢) . ولم يجعل القرآن الحوار من خصوصيات فرد أو جماعة بذاتها ، ولكن جعله منهجاً ينتهجه الإنسان لتطوير سبل الحياة والارتقاء بنفسه إلى بلوغ درجة الخلافة، وتتميز القرآن بأن جعل الحوار أسلوب الأنبياء والمرسلين والصالحين والأمثلة على ذلك كثيرة ، حتى تميز به نبي الله موسى ﷺ لكثرة مخاطبته لربه عز وجل حتى وصف بالكليم ، في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١١﴾﴾ النساء (١٦٤) ، ولقد حفل القرآن بآيات كثيرة من حوار موسى ﷺ مع ربه تبارك وتعالى ، كما عرض القرآن حوارات متعددة لغير أهل الإسلام والخارجين عنه في أسلوب منصف وعادل ، ولقد كانت أولى المحاورات عند نشأة الخلق مع مخالف هو إبليس الرجيم رمز الشر المطلق والباطل المطلق ، وأرسي القرآن في هذه المحاورات قاعدة مهمة هي إمكانية الحوار حتى ولو كان الحوار مع أشد الأعداء وأفظعهم ، وقصة إبليس وحواره مع الله تعالى تجسد ذلك وقد وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم . وكان الحوار مع الملائكة قبل إبليس ونجح عنه امتثالهم لأمر بعد فتاعة .

إن القرآن كلام الله حوار مع الناس جميعاً يخاطبهم فرداً فرداً من يتلوه كأنه يعيش في حوار متواصل مع خالقه نرى ذلك في الآيات المفتحة يا النداء (يا أيها الذين آمنوا) (يا أيها

^١ ينظر: د. / محمد عبد اللطيف رجب منهجية الحوار في القرآن الكريم ط مجلة الشريعة والقانون كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة ص ٢٠١ وما بعدها بتصرف ، العدد (٣٥) رجب ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

الناس) (يا أيها الإنسان) (يا عبادي) وبالطلب والأمر والنهي الذين يجعلون حركية الحوار منتعشة في الحياة الانسانية¹.

إن أزمة الحوار نشأت عندما غفل المسلمون عن تدبر كتاب ربهم ولم يعرفوا له حقه فلم يعرف الآخرون هديته ورشده ، ولو أطلقنا العنان لاستقصاء النماذج والأمثلة لطال بنا المقام ولكن يكفي ما اشرنا إليه .

¹ ينظر محمد السلواتي مقال فقه الحوار الإسلامي والواقع المعاصر على موقع جوريبيديا القانون المشارك.

التمهيد وقد اشتمل على:

١- مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح.

٢- عناصر الحوار وفيه:

أ- شخصية المتحاورين .

ب- المناخ الحوارى .

ت- أسلوب الحوار.

مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح

أولاً : مفهوم الحوار في اللغة :

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في أربعة مواضع :

أولها قوله تعالى: ﴿ كُنَّا لَبِئْسَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا جِلْدَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُ شُرَفًا ۝٣٤ لِيَصْحَبَهُ. وَهُوَ بِمُحَاوَرَةٍ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٥ ﴾ الكهف (٣٣-٣٤).

ثانيها : قوله تعالى في نفس السورة والقصة: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾ الكهف (٣٧).

ثالثها : قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ (المجادلة ١).

رابعها : قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝١١ ﴾ (الانشقاق ١٤).

وقد ذكر علماء اللغة أن لمادة (حور) معاني متعددة تبعاً لتصرفها فقد جاء ال (احور) الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حاراً إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارة وخوراً رجع عنه وإليه .

والحور : الرجوع إلى النقص ومنه حديث عباده :

يوشك أن ترى الرجل من ثيغ القسّمين قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأه لا يحور فيكم إلا كما يحور صاحب الجمار الميت^١ أي لا يرجع فيكم بخير ولا ينتفع بما حفظه من القرآن كما لا ينتفع بالجمار الميت وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حارَ حوراً .
قال لبيد : وما المرء إلا كالشهاب وضوئه

يحور رمادا بعد أن هو ساطع^٢

والمحاورة : المجاورة والتجاور التجاوب ، وتقول كلمته فما أحرّأ إلى جواباً وما رجع ، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة . واستحاره أي استنطقه ، يقال: كلمته فما رد حوراً أي جواباً . والأحورُ : العقل ، وما يعيش فلان بأحورَ أي ما يعيش بعقل يرجع إليه . والحورُ البياض والأعراب تسمي نساء الأمصار حواريّات لبياضهن . والحواريون هم الذين أخلصوا ونقوا من عيب^٣ .

من خلال استعراض المعاني اللغوية للحوار يتضح لنا أن الحوار تدور معانيه حول الآتي :-

- (١) الرجوع إلى الشيء ، وعن الشيء والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى رأي الآخر ، أو قوله ، أو فكره رغبة في الوصول إلى الصواب والحقيقة .
- (٢) التحول من حال إلى حال ، فالمحاور ينتقل في حوارهِ من حالة إلى أخرى ، فمرة يكون مستفسراً ، وأخرى يكون مبرهنأ ، وثالثة يكون منتقداً وهكذا
- (٣) التجاوب مع الآخر ؛ لأن كلاً من طرفي التّحاور يكون مهتماً بالإجابة عن أسئلة الآخر إما إيجاباً ، أو سلباً .
- (٤) مراجعة المنطق ، والكلام في المخاطبة بقصد الفهم لا بقصد الإيقاع .
- (٥) الاستنطاق لأن كلاً من المتحاورين يريد أن يصل إلى الحقيقة .

^١ - أبو عبد الله الشيباني أحمد بن حنبل المسند من حديث شداد بن أوس ج ٤ ص ١٣٥ ط / مؤسسة قرطبة مصر بدون تاريخ .

^٢ ديوان لبيد بن ربيعة في قصيدة يخاطب فيها امرأته ص ٨٨ ط / دار صادر بيروت بدون تاريخ

^٣ ابن منظور محمد بن مكرم لسان العرب مادة حور ج ص ٢٥٤ وما بعدها ط / دار الكتب العلمية - بيروت الأولى ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م ط / صادر

أحمد خيدر . مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم .

٦) النقاء وعدم التعصب ، والواقع أن الحوار الحقيقي يكون من نتائجه التخلص من العيوب الفكرية وإزالة النبس والانصياح إلى الحق باقتناع^١ .

وبعد هذا العرض للمدلول اللغوي لمادة الحوار والذي أردنا من خلاله بيان أن الحوار هو الأسلوب الأمثل عند تعارض الأفكار نأتي إلى المعنى الاصطلاحي للحوار .

مفهوم الحوار اصطلاحاً

تعددت التعاريف الاصطلاحية للحوار ، لكنها كلها تدور حول المعنى اللغوي من كونه كلام يجري بين شخصين أو أكثر فمن التعريفات الاصطلاحية " هو نوع من الحديث بين شخصين ، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام فيما بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما به دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"^٢ ، ومن التعريفات أيضاً "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين لمعالجة قضية من قضايا الفكر والعلم ، والمعرفة بأسلوب متكافئ يغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن الخصومة"^٣ وهذا التعريف يشبه سابقه . ومن التعريفات "مراجعة الكلام مع النفس ، أو بين طرفين ، أو أكثر حول موضوع محدد ، بغرض الوصول إلى الحقيقة وتجليتها"^٤ .

وأرى أن هذا الأخير من التعريفات الاصطلاحية للحوار أجمع ، وأخصر ، حيث جمع بين الحوار مع الذات ، والحوار مع الآخر لأن الحوار لا يقتصر على الحديث بين شخصين ، ولكن قد يكون من الحوار حوار الإنسان مع نفسه .

والحقيقة أنني سوف أعرض عن بيان ما يتفق مع الحوار في المعنى مثل (الجدل والمناظرة إلى غير ذلك لأن ذكرها بيان كونها تتفق أو تختلف مع الحوار فيه من وجهات النظر ما يطول به البحث مع كوني أنفق مع وجهة الرأي القائلة بأن مدلول الجدل والحوار في القرآن واحد .

^١ ينظر د/ عبد الستار إبراهيم الهيبي الحوار مع الذات والآخر ص ٣٩ بتصرف سلسلة كتاب الأمة ١٤٢٥ هـ. الكتاب التاسع والتسعون ط الأولى ، ينظر محمد عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعريف ص ٩٩ ، ط دار الفكر المعاصر بيروت بدون تاريخ .

^٢ ينظر كتاب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أصول الحوار ص ٦ ط ١٤٠٨ هـ .

^٣ د/ مفروح بن سليمان القوسي ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي ص ١٣ مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٩ هـ .

^٤ د/ القاسمي خالد الحوار أدابه وتطبيقاته ص ٢١ ، ٢٢ ط مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الطبعة الثانية الرياض ٢٠٠٥ م

عناصر الحوار

نقصد بعناصر الحوار الأطراف التي يجري بينها الحوار ، كما نقصد به أيضاً الأجواء التي يجري فيها الحوار ، وكذلك اللغة أو الأسلوب الذي يدور به الحوار وسوف نبدأ بالمتحاورين ونركز علي الشخصية:

أولاً : شخصية المتحاورين :

كل شخصية تتكون من عقلية ، ونفسية وشكل ، والحقيقة في مجال الحوار لا علاقة للشكل ، والزي ، والقامة إلى غير ذلك.... في هذا المجال ، فكم من أناس لهم أجسام ضخمة وقامات مديدة وأشكال حسنة ، وهم ضعاف الشخصية ، وكم من أناس قصار القامات هزيلي الأجسام ، ولكنهم يتمتعون بشخصيات فذة . وإذا اجتمع الاثنين معاً كان ذلك إضافة إلى الشخصية كما أشار القرآن عند الحديث عن طالوت حيث يقول تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَعْمَالِهِ وَالْجِسْمَ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٤٧) ، فالله تعالى قدم بسطة العلم على بسطة الجسم ، فإذا اجتمع العلم مع بسطة الجسم كان ذلك أوفى وإذا انفرد العلم فليس ذلك عيباً كما قال الشاعر :

إلا يكن عظمي طويلاً فابني	له بالخصال الصالحات وضوئ
إذا كنت في القوم الطوال	علوتهم بعارفة حتى يقال طويـل
ولا خير في حسن الجسوم وطولها	إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

في مجال الحوار مع الآخرين يجب التنبيه إلى أن عقلية ، ونفسية المحاورين متباينة ، ولا يستطيع الإنسان في العادة أن يختار محاوره ، فالنموذج المفضل في التحوار قد لا نجده ، فطبائع البشر وعقولهم لا تحصى فمن النماذج التي يمكن أن تراها في التحوار :

(١) المحاور المعارض :

وهذا شائع فإنك إذا ما أطلقت قولاً ، أو تحاورت مع آخر وجدت المعارض وهذا غالب في حوار القرآن الكريم مع المشركين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آدَاءً أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ لَمَّا تَعْتَلَوْا سَيِّئًا لَا يَذَرُونَا ﴾ (البقرة ١٧٠) .

^١ البصري ، الحسن علي بن أبي الفرج كتاب الحماسة ج ٣ كتاب الكروني على موقع الكتاب الإسلامي www.islamicbook.ws
^٢ انظر فقهنا - دلال حسين دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب العسكري ص ١٥٨ بتصرف - مركز الملك عبد العزيز

وهذه المعارضة ليست معارضة مقترنة بالحجة والدليل بل معارضة لأجل المعارضة فحسب .

(٢) المحاور المتعقل الحكيم :

وكان هذا النموذج واضح في رسول الله ﷺ فإن حزمه ﷺ في تطبيق شرع الله عز وجل لم يمنعه أن يجمع بين أسلوب المجاملة والإنكار ، دون تقديم أي نوع من التنازل في دين الله عز وجل ، وهذه القصة التي سنذكرها تبين ذلك ، فقد أنكر على سعد بن عبادة الذي كان سيداً في قومه و لم يستخدم عبارات صريحة ، أو تعبيرات غير لفظية ، مثل تعبيرات الغضب ؛ بل أخذ تعليق الصحابي على مأخذ الهزل وعلق عليه تعليقاً مبطناً بالإنكار وإليك القصة " فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن سعد بن عبادة الأنصاري ، قال: يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أبقته ؟ - قال رسول الله ﷺ لا قال سعد : بلى والذي أكرمك بالحق ، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا إلى ما يقول سيدكم" ^١ وهذه الكلمة الأخيرة من رسول ﷺ تبين شخصية المحاور فإنه ترك للمستمع الحكم والمقارنة بين غير سعد وبين شرع الله ، ولا شك أن حكم الله عند المستمع مقدم على غير سعد دون أن يكون هناك انفعال ، وغضب . وإذا كان الحوار أرقى درجات التواصل بين الآخرين ، ولا بد لمن ارتقى ذلك المكان واصطاح على أن يعطي تواصله مع الآخرين مصطلح الحوار أقول إذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن تكون هناك ضوابط تتعلق بشخصية المحاور هذه الضوابط من وجهة نظري تتمثل في قيم أخلاقية يلتزم بها أطراف الحوار تتمثل هذه القيم فيما يلي:

(١) الإخلاص وتوفر النية الحسنة :

فينبغي على المحاور أن يقدم تقوى الله عز وجل وإخلاص النية سائلاً معونة الله له وتوفيقه إياه في طلب الحق وإدراكه ، وألا يقصد بحواره المباهاة والمفاخرة ، ويستشعر المسؤولية أمام الله عز وجل عن قصده مع الحرص على عدم الانتصار للذات أو حب الظهور والشهرة ، حيث يقول الرسول ﷺ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... الحديث" ^٢ فإن سلامة النية خير معين على استجلاء الحقيقة .

^١ صحيح مسلم ك/ الدعاء ، وانظر المرجع السابق ص ١٦٠ وما بعدها .

^٢ البخاري - محمد بن إسماعيل الصحيح ك/ بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي . ج/ دار ابن كثير اليمامة بيروت ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

والأتقياء حرى بهم أن يراقبوا الله قبل الدخول في الحوار وأثنائه ، وأن يتخلصوا من حظوظ النفس وحب الذات^١ .

٢) الرفق واللين :

هذا أبرز ما يتميز به المحاور من الناحية الخلقية التودد والحلم لا الإغلاظ والشدّة يقول تعالى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ رِيمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ - النحل ١٢٥ -

إن القرآن يدعو المسلمين إلى الالتزام بهذا الخلق ﴿ وَقُلْ لِمَا أَوْيَ يَقُولُوا أَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ - الإسراء ٥٣ - ، وقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ - البقرة ٨٣ - وغير ذلك من الآيات ومن السنة قول النبي ﷺ "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"^٢ ، وقوله ﷺ "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"^٣ وللتأكيد على هذا المنهج وجدنا الله تعالى يأمر موسى ﷺ هو وأخاه هارون أن يخاطب فرعون بالرغم من طغيانه باللين فقال عز من قائل : ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (١١) - طه ٤٤ - ومن النماذج القرآنية في الحوار باللين قصة إبراهيم الخليل ﷺ في سورة مريم حيث كان شديد الأدب شديد الرفق واللين بأبيه على الرغم من إغلاظه عليه وشدته معه فناده بأرق الكلمات (يا أبت) .

ثالثاً : التأدب في القول :

بالامتناع عن السخرية والاستهزاء والبذاءة في الكلام ، وإتباع أسلوب التحدي والتعسف في الحديث ، وتعتمد إيقاع الخصم في الحرج حتى ولو كانت الحجة بيّنة والدليل دامغاً ؛ فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف وقد تفحم الخصم ولكنك لا تقنعه وقد تسكته بالحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه ، فأسلوب التحدي والتطاول على الآخرين يمنع التسليم ولو وجدت القناعة العقلية^٤ .

^١ انظر د/ محمد حسين بختيار أدب الحوار ص ٥٩ وما بعدها بتصرف بحث ضمن مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ٨٠٧ ربيع

الاول ١٤٢٦ هـ / ابريل ٢٠٠٥ م .

^٢ البخاري - الصحيح ك الأدب باب الرفق في الأمر كله

^٣ مسلم - - الصحيح - ك البر والصلة والآداب باب فضل الرفق .

^٤ ينظر صالح بن عبد الله بن حميد أصول الحوار وآدابه في الإسلام - ص ٢٥ وما بعدها بتصرف م دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة

الاولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

: ابعاً : الهدوء والسكينة :

من الآداب المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور المحافظة على الهدوء والروية ، والسيطرة على الانفعالات ، واجتناب الغضب ومسبباته ، فذلك يعد من الأمور الضرورية ؛ لتوفير مناخ صحي للحوار والمناظرة ، لأنه لا يلجأ إلى المحاور إلا في الأمور الفاصلة الفارقة التي لو لم يراع فيها تهدئة المناخ والالتزام بهدوء النفس يقع ما لا يحمد عقباه ففي حادث الإفك عندما أراد النبي ﷺ أن يجري حواراً مع الأنصار من الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبي بن سلول بقوله ﷺ " من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، فقام سعد ابن معاذ فقال: يا رسول الله أنا أعذك منه " وتحدث بموضوعية فقال: "إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك " وهنا قام سعد بن عبادة وكان سيد الخزرج ولم يملك نفسه فقال : "كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك" ، فانظر كيف كان هذا الحوار ، وكيف التزم سعد بن معاذ بالموضوعية في الكلام ، وكيف انفعّل سعد بن عبادة ولا تنتقص بذلك من قدر هذا الصحابي الجليل ولكن الانفعال يجعل المرء لا يكسب موقفاً ويعاب عليه لانفعاله وتسرعه .

إن التشنج والانفعال والغضب ليس هو الأسلوب الأمثل لبيان الحق ونصرته لأنه يؤدي إلى اختلال الفكر وعدم سداه ، وحينئذ لا مطمع للفهم فيفوت الغرض من المحاوره
خامساً : حسن الاستماع والفهم :

قال الحكماء : "رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم والإصغاء للمتكلم . وقالوا أيضاً حسن الأدب أن لا تغالب أحداً على كلامه وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام" .

إن حسن الإصغاء فن قل من يجيده في عصرنا الحاضر ، وللمحاور هنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فقد كان ﷺ خير من يحسن الاستماع إلى الآخرين ويصغي إليهم والأمثلة على ذلك كثيرة وأقتصر على هذه الحادثة من التاريخ النبوي :-

" اقترح عتبة بن ربيعة على قريش أن يأتي النبي ﷺ ليعرض عليه أموراً لعله يقبل بها فتراجع عن دعوته إياهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام ، والأوثان فجاء

1 - البخاري الصحيح ٤/ التفسير باب قوله : " لولا إذا سمعتموه من المؤمنين والمؤمنات بانفسهم خيراً "

2 - ينظر شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد ج ٣ ص ١١٢ طدار مكتبة الهلال - بيروت الأخيرة ١٩٩٩ م

إلى النبي ﷺ وقال : يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة^١ في العشيرة ، والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعنك تقبل منها بعضها ، فقال له ﷺ : قل يا أبا الوليد ، أسمع قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، وإن كان هذا الذي بأتيتك رنياً^٢ تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرنك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه حتى إذا فرغ عتبه ورسول الله ﷺ يستمع إليه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم. قال : فاسمع مني قال : أفعل فقال : بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿حَمْدُ ١﴾ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَلْتَ عَائِتَهُ. قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا جَاهِلُونَ ﴿٥﴾ - فصلت ١-٥ - ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت إليها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتم يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك"^٣ .

انظر كيف استمع ﷺ لكلام عتبة على الرغم من أن ما سمعه من عتبة كان وهماً وباطلاً لكنه أصغى بكل أدب ثم قال له : (أو قد فرغت يا أبا الوليد) يعني لو أن عندك كلام آخر قلته ثم بعد ذلك أتكلم وهذا موقف واحد من مواقف صلوات ربي وسلامه عليه التي ينبغي أن نتعلم منها في الدعوة إلى الله تعالى نحن محتاجون إلى جماعة (أو قد فرغت يا أبا الوليد) ممن يحسنون الإصغاء حتى يكون تفكيرهم سديداً .

سادسا : التواضع .

^١ الشرف

^٢ ما يظهر للناس من الجبن .

^٣ انظر ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ١٣١ ط دار الجيل - بيروت بدون تاريخ ت/ طه عبد الرؤوف سعد

أدب رفيع وصفة من الصفات الكريمة، جاء في السنة الصحيحة قول النبي ﷺ "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" وقال أيضا : " ما زاد الله عبدا بغوا إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" ^٢ ، وقال فيها الحكماء : "كل نعمة يحسد عليها إلا التواضع" ^٣.

فالتواضع من الصفات الإنسانية النبيلة التي تعنى ألا يغتر الإنسان بما وهبه الله تعالى من أي شيء ، وهذه من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتخلق بها المحاور .

سابعاً : الصدق :

وهو الإخبار عن الشيء بما هو عليه ، وقد جعل الله عز وجل هذا الخلق دعامة ركينة في خلق المسلم ، فقال عز من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (- التوبة ١١٩ -) "ومن مقتضيات الصدق التزام المحاور بالمصادقية العملية لأرائه وأفكاره التي يطرحها أثناء الحوار فنصوص الشريعة توجب على المسلم تطابق القول والاعتقاد كما توجب تطابق القول والعمل وتحظر الانفصام بينهما" ^٤.

ثامناً : الأمانة :

من أهم المبادئ الخلقية التي ينبغي أن يتصف بها المحاور؛ لأنها من الدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْلُمُونَ﴾ - الأنفال ٢٧ - ويقول الصادق المعصوم عليه السلام مؤكداً على ذلك "لا إيمان لمن لا أمانة له" ^٥.

ونقتضي الأمانة في مقامنا هذا عدة أمور منها :-

- ١) نسبة الأقوال إلى قائلها .
- ٢) تجنب أسلوب الإيهام والغموض ، أو إخفاء الحقيقة أو جزء منها بفصد التلبيس على الآخر .

٣) عدم بتر النصوص عند الاستشهاد للتدليل على صدق ما يقول

٤) الاستدلال بالنصوص الصريحة الصحيحة دون الظنون والأوهام .

^١ مسلم الصحيح ك/ الجنة وصفة تعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار ج/ الدنيا .

^٢ مسلم الصحيح ك/ البر والصلة باب استحباب العفو والمصفح .

^٣ ابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد ج ٢ / ٧٣ .

^٤ بنجراد / معرج بن سليمان فتاوى الحوار في الشكر الاسلامي ص ٥٩ وما بعدها يتصرف .

^٥ أحمد المسند مسند انس بن مالك .

وإن ما ذكرناه من القيم الخلقية التي ينبغي الالتزام بها عند التحاور هي من أهم ما تتميز به الشخصية عند الدخول في حوار فإذا التزم بها المحاور أصبح الحوار هادفاً يرجى خيره ويؤمن شره لأن النفوس إذا استقامت وانصاعت للحق ساد الود والحب والتعاون على عمارة الأرض الذي استخلف الله الإنسان فيها .

ثانياً المناخ الحوارى (سياق الحوار)

يقال : نحن نعيش مناخ علمي ، ويقال مناخ ثقافي ومناخ تربوي ، مناخ سياسي ... الخ ، ويقال أيضاً: جو علمي وجو ثقافي . هذه كلمات تتردد على السنة المتقنين . وكلمة (مناخ) بفتح الميم وضمها تعني في مفهوم الناس الحالة التي يكون عليها الجو من حرارة وبرودة ومن اضطراب وهدوء وفي رأيي أن الحالة التي يكون عليها المجتمع عامل مؤثر في تكييف المناخ الحوارى ، إما إيجاباً أو سلباً .

فإذا كان المجتمع تسوده الحرية ، فإن الحوار فيه يكون إيجاباً ، وإذا كان المجتمع فيه إرهاب فكري وتعصب لمبادئ معينة، فإن الحوار يكون سلبياً. فأول شيء لتهيئة المناخ الحوارى الجيد :-

• الحرية الفكرية:

لا بد أن يمتلك أطراف الحوار الحرية الفكرية التي لا تصطدم مع الثوابت ولو اصطدمت من باب قلة المعرفة لا بد أيضاً أن يكون المناخ مهيناً للمناقشة والتحاور وإعطاء الطرف الآخر الثقة بشخصيته وب نفسه ، بحيث لا يكون فريسة للإرهاب الفكرى والنفسى الذى يشعر معه بانسحاق شخصيته أمام شخصية الطرف الآخر ، مما يؤدي إلى ارتباك وتشنيت أفكاره وبدلاً من أن يستحضر حججه وبراهينه لمعالجة القضية التي يحاور من أجلها يجد نفسه مضطراً للدفاع عن شخصيته الفكرية والفكاك بها من أسر الإرهاب الواقع عليها . ولقد تعددت النصوص القرآنية التي يلزم الله عز وجل فيها رسوله ﷺ بالتأكيد على أنه بشر يتلقى الوحي باعتباره رسول رب العالمين ومهمته تبليغ الرسالة عن طريق الحوار دون أن يشعر الناس أنه متميز عنهم ويملى عليهم أفكاره فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ - الكهف ١١٠ -

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أَعْتَدَىٰ لِنَافْسِهِ وَلِمَن حَزَنًا فَاِنَّمَا يَصُدُّ عَنْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس ١٠٨).

بهذه الآيات يتبين أن القرآن الكريم أعطى للناس الحرية الفكرية فهم موكلون إلى إرادتهم واختيارهم . فلا مجال للإرهاب الفكري ، لأن النبي الكريم ﷺ لم يكن يملك قوة تدفعهم إلى الإيمان سوى قوة الكلمة فانتفت أجواء الهيمنة والسيطرة^١ .

ثانيا : التكافؤ .

وهو مترتب على الحرية والتكافؤ هنا أضعه في سياق واسع الدلالة ليس بمعنى التكافؤ العلمي وهو المساواة في العلم والمعرفة لأن هناك من يحاور ليعرف الحقيقة ممن هو أكثر منه دراية، فهو يتعدى أكثر من ذلك كالتكافؤ في إعطاء كل طرف حق الطرح والإصغاء إليه باهتمام ، كذلك الإيمان بحق كل الأطراف في المشاركة والاختلاف .

بهذين المطلبين عند إجراء الحوار وهما ممارسة الحرية بحيث تكون الإرادة متساوية ، كذلك ممارستها دون أدنى تخوف ، مع حصول التكافؤ في طرح القضايا والمشاركة وإعطاء حق الاختلاف ينهياً المناخ المناسب للحوار البناء الإيجابي الذي يؤتي ثماراً تعود على الفرد والمجتمع بالنفع .

ثالثاً أسلوب الحوار (لغة الحوار)

أعني بالأسلوب هنا معناه اللغوي وهو: الطريق والوجه والمذهب^٢ ، وأعني به أيضاً : النمط الفكري عند المحاور وهو المُخَاطَب ومجموعة الألوان التي يصطبغ بها الخطاب ليصل عن طريقها إلى الإقناع بالنسبة للمخاطب ؛ فأسلوب الحوار يعني طريقة التفكير ، وكذلك اللغة التي يجري بها الحوار وهي بمجملها تعني المنهجية في الحوار ، وحتى يكون الحوار متكاملاً ومنهجياً من جهة الأسلوب لأبد من وجود عناصر تتمثل فيما يأتي^٣ :-

أولاً : تحديد الغاية :

^١ د/ محمد عبد اللطيف رجب منهجية الحوار في القرآن - مجلة الشريعة والقانون ص ٢٠٨ بتصرف .

^٢ انظر ابن منظور لسان العرب ، مادة (سلب) .

^٣ انظر د/ فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية والأسلوب مدخل نظري ودراسة تطبيقية ص ٩ ط: الدار العلمية للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩٠م

د/ أحمد "شباب الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ص ١٣٤ ص ٧١ مكتبة النهضة المصرية - طبعة السادسة

تقاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م بتصرف .

المنهجية تستلزم أن تكون الغاية من الحوار واضحة ، والهدف محدداً وهذا يتجلى في أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَمَآلَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا إِنَّ دُونَ ٱللَّهِ فَاٰن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) - آل عمران -

ثانياً : تحديد المصطلحات .

الكشف عن معاني المصطلحات المتداولة وضبطها ورسم حدودها بحيث يتم استعمال المصطلح استعمالاً صحيحاً يؤدي إلى سلامة مواقفنا تجاهه ، ويحول دون استلاب البعض له ، وتوظيفه توظيفاً غير نزيه كما يفعل أعداء الإسلام حين يختطفون مصطلحاً إسلامياً ويعملون على إفراغه من مضامينه الشرعية ، ثم تعبئته بالمضامين ، والتوجهات المنحرفة ، وتسريبه بعد ذلك إلى العقل المسلم الذي ربما يغتر بكون المصطلح شرعياً في أصله ، كما فعل الغربيون حين استلبوا مصطلح الإرهاب وشحنوه بجملة من المفاهيم ، والتوجهات التي تصب في مصالحهم وتتناقض مع مصالحنا .

والحقيقة أن مصطلح الإرهاب في قول الله عز وجل ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ - الأنفال ٦٠ - يختلف مدلوله عندنا عن مدلولاته في العقل العربي ذلك أن مدلوله عندنا مقيد بإعداد المستطاع من القوة لإرهاب الأعداء لا لإيقاد نار الحرب فقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَهَبْ رِبَاطَ ٱلْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ كان الله يقول أعدوا ما تستطيعونه من قوة ؛ ليرهبكم الأعداء عسى أن يمتنعوا عن الإقدام على قتالكم وهذا عين ما يسمى في عرف دول هذه الأيام بالسلام المسلح بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعاف ^١ .

وبهذا يختلف معنى المصطلح عندنا عن معناه في الغرب وهذا يؤكد أن تحديد المصطلح أمر مهم عند المحاوره حتى لا يتلاعب بنا الآخرون ويحملوا المصطلح ما ليس منه .

ثالثاً : الاتفاق على أصول مرجعية للحوار

^١ ينظر د/ محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي منهجية الحوار في القرآن ص ٢١٥ بتصرف ، الشيخ محمد رشيد رضا تفسير المنار ج ١٠ /

٢٤٧٨ وما بعدها بتصرف ط/ دار الفكر للطباعة والنشر / الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م

لا يستقيم أي حوار بين طرفين لا يستند إلى مرجعية واحدة معتمدة بكنل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات ، وضبط الحوار وتوجيهه الوجه الصحيحة . فإذا كانت أطراف الحوار تنتمي إلى الإسلام فالنص الشرعي أصلاً ومرجعاً معتمداً للحوار بين هذه الأطراف انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ نَزْعَهُ فِي شَيْءٍ وَفُرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ - النساء ٥٩ - ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ - الشورى ١٠ - ١٠ ، ولما إذا كان أحد طرفي الحوار من غير المسلمين فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعتزف بها من قبل الطرفين كالقواعد الدينية العامة ، والأسس الحضارية المشتركة ، وقواعد العقل البشري السليم ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى .

رابعا الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق

وهذا منهج القرآن الكريم قال تعالى: ﴿تَلَّ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ - آل عمران ٦٤ - ؛ فإن الانطلاق من أرضية مشتركة يتفق معها الطرفان أدعى إلى تقريب الشقة ، وتحقيق الوفاق للوصول إلى نتائج سليمة ترضي جميع الأطراف .

خامسا : عدم التناقض .

والمقصود سلامة دعوى المحاور ودليله من التعارض ، وألا يكون بعض كلامه ينقض البعض الآخر ومن أمثلة ذلك في القرآن ما قص على لسان قريش من قولهم عن الآيات التي جاء به النبي ﷺ بأنها سحر مستمر قال تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ - القمر ٢ - ؛ ففي هذا القول تعارض ، وتناقض لا يستحق المناقشة العلمية ؛ لأن من شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحراً أما أن يكون الشيء سحراً ومستمراً فهذا جمع بين متضادين لا يجتمعان ، ومن ذلك أيضاً وصف فرعون لموسى ﷺ بقوله ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ جَحْنُونَ﴾ - الذاريات ٣٩ - .

سادسا : سلوك الطرق العلمية والتزامها .

« ومنها ما يأتي :-

(١) تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة في الحوار ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿أَمْ يَبْدُوُا أَنْ يَخْلُقُ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُمْ يَرْفُقُونَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ إِنَّ كُتُوبَهُمْ

مَكْدُوبَةٌ ﴿٦٦﴾﴾ - النمل ٦٤ -

- (٢) إثبات صحة العقل للأمور المنقولة المروية اثناء الحوار سواء كانت ادلة عقلية امن قلبية، وفي هذا الأمر جاءت القاعدة المشهورة لدى علماء أدب البحث والمناظرة (ان كنت ناقلًا فالصحة وإن كنت مدعيًا فالدليل).
- (٣) قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح وإلا كانت المحاور من العبث الذي لا يليق بالعقلان ان يمارسوه^١.
- سابعًا : الالتزام بأداب الحوار التي ذكرناها في شخصية المتحاورين وهي القيم الاخلاقية التي ينبغي ان يتحلى بها المحاور وقد ذكرناها قبل ذلك.

^١ ينظر في هذا د/ عبد الرحمن حسن . حينئذ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ص ٣٦٢ وما بعدها بتدقيق د. دار القلم دمشق الرابعة ١٤١٤/١٩٩٣ م ، د/ مفرح بن سليمان ضوابط الحوار في الفكر الاسلامي ص ٢٢ وما بعدها بتدقيق .

المبحث الأول

شخصيات القصة

- ١- نبي الله سليمان
- ٢- مدهد سليمان .
- ٣- ملكة سبا (بلقيس)
- ٤- مستشاري الملكة .
- ٥- جن سليمان .

١- سليمان عليه السلام

حقيقة لا يماري فيها المسلمون ولا غيرهم من أهل الأديان وهي أن سليمان عليه السلام نبي ورسول نطقت بذلك آيات القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلَامًا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاثَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء-١٦٣]. وقد ورد ذكر اسمه عليه السلام في القرآن الكريم سبع عشرة مرة في سبع سور من ست عشرة آية من آيات الذكر الحكيم :-

ذكر مرتين في سورة البقرة في الآية (١٠٢).

ذكر مرة في سورة النساء في الآية (١٦٣).

مرة في سورة الانعام الآية (٨٤).

ثلاث مرات في سورة الانبياء في الايات (٧٨ ، ٧٩ ، ٨١).

وسبع مرات في سورة النمل في الايات (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤).

ومرة في سورة سبا في الايات (١٢ ، ١٤).

مرتين في سورة ص (الايات من ٣٠-٤٠).

والقرآن في حديثه عن سليمان عليه السلام ذكر أنه ابن نبي الله داود

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [٢٠] - ص ٣٠-

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفَرَّتْ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ - النمل ١٦- .

والذي نستطيع أن نستخلصه من القرآن بخصوص نسب سليمان عليه السلام انه من ذرية نوح ، أو إبراهيم عليه السلام ، في ذلك تبعاً لاختلافهم في فهم وتفسير قوله تعالى في الحديث عن إبراهيم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ - الإنعام ٨٤ - ،

ومنشأ الخلاف في عود الضمير في كلمة (ذُرِّيَّتِهِ) هل هو عائد على نوح عليه السلام وهو أقرب مذكور ، أم أنه عائد على إبراهيم عليه السلام الذي سيقت الآيات من أجله . وهذا الخلاف لا يعنينا فإن الاتفاق على كونه ممن اصطفاهم الله تعالى أمر محسوم .
نشأة سليمان عليه السلام.

نشأ سليمان عليه السلام في بيت من بيوت النبوة هو بيت داود عليه السلام وهو نبي أنعم الله عليه فقال عنه: ﴿وَأَنكَتَهُ اللَّهُ الْمُلُوكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ - البقرة ٢٥١ - كما أنه كتاباً يترجم به فقال جل شأنه ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (١٣١) - النساء ١٦٣ - وجعل ذلك من الفضل فقال : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ - الإسراء ٥٥ - وكانت الجبال والطير تسبح معه بأمر الله قال تعالى: ﴿يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ - سبأ ١٠ - ، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) - ص ١٧ - .

وفي هذا الجو المليء بالعلم ، والعبودية لله تربي سليمان فورث العزم والحكمة ، وورث داود في كل شيء ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ ورث خلافة إيمانية ودولة قوية .

سليمان الملك والرسول من خلال القصة :

أولاً : سليمان الملك :

قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل تتسم بالجو الملكي إلى جانب اتصافها بالخلق الرسولي ، والقيادي والزعامي والحربي ، هذا الملك الطويل العريض الفسيح الشامل للجن والإنس والطير توضحه هذه الآية ﴿وَحِثْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) - النمل

٥٠- أ الملك تتجلى في هذه النبوة الخطابية المتميزة ﴿وَقَالَ يَتَابِعُهَا مَنْ عِلْمًا بَطْنُ عَمْرِو بْنِ لُؤَيٍّ﴾^١ من كل شئ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٥٠﴾ - النمل ١٦- ، كما يتضح في مخاوف النملة: ﴿النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَابِعُهَا النَّعْلُ أَدْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٢ - النمل ١٨-

كما يتضح في تهديد سليمان للهدد لأَعْدِيَّتِهِ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْنَعُهُ أَوْ لِيَأْنِيَنِي بِسُلْطَانِي مُبِينٌ ﴿٥١﴾ - النمل ٢١- ، كما يتضح الخلق الملوكي ، والزعامي ، والحربي والقيادي في كتابه للملكة ﴿أَلَا تَمْلَأُونَ عَلَى وَأَتُونِي سُلَيْمِينَ﴾^٣ - النمل ٣١-

ثانيا سليمان الرسول :

مع الأخلاق القيادية والحربية تتجلى أخلاق الرسول في سليمان عليه السلام نلمح من ذلك في تبسمه للنملة ومناجاته ربه ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ قَوْمِي وَلَوْلَاكَ صُلِحَ عَارِضُهُ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^٤ - النمل ١٩-

وفي تحمله لجرأة الهدد الذي قال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِ﴾^٥ - النمل ٢٢- وفي تعليقه المفلس لفضل ربه عليه ﴿عِنْدَهُ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكْتُمُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^٦ - النمل ٤٠-^١

وبهذا نتضح لنا شخصية نبي الله سليمان عليه السلام من شرف النسب وكمال العلم والحكمة والملك والرسالة .

٢- هدهد سليمان

ذلك المستكشف لخبر الملكة وعقيدتها والرسول من سليمان عليه السلام إلى الملكة ، ولقد أدى دوره في القصة ثم توارى بعد أداء هذا الدور ولقد قصدت نسبة الهدد إلى سليمان عليه السلام ؛ لأنه هدهد من نوع خاص لا تسأل عن نسبة أو عن شرفه فقد جاء في كتب التفسير عن الهدد أنه طائر معروف منتن يأكل الدم وفوق رأسه قرعة سوداء أسود البرائن أصفر الأجفان يقتات

^١ د/ لقمة محمد محمد الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية ص ٢٥٢ بتصرف رسالة دكتوراه قسم الآداب واللغة

كلية اللغة العربية جامعة القاهرة عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

تحيوب والدود^١. لكن ليس هذا هدهد سليمان عليه السلام فهدد سليمان لا تسأل عن سظهره وشكله وجماله ، ولكن يكفيه فخراً أن القرآن خلد ذكره ، وأنه كان جندياً من جنود نبي ، وأنه كان فطناً ذكياً موحداً رأى النكر فأنكره ، وذهب إلى مليكه فاستغفره غار على التوحيد فضرب بذلك أروع مثل في الإيجابية العملية ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حِطَ بِهِ ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢) إِلَى وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) ﴾ (النمل ٢٢ - ٢٤) .

فأنظر كم كان الهدد فطناً وذكياً حين استخدم القاعدة الفقهية المشهورة (إذا تراجمت المصالح يقدم الأعلى من المصالح) فقدم الدعوة إلى الله على الحضور عند سليمان عليه السلام وهذا درس عظيم في أن يبدأ بالأهم ، فالأهم ، ثم انظر إلى حديثه كم كان مؤدياً وهو يتحدث عن العصاة المشركين ووصف حالهم ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وبين علة المعصية وسببها ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ لم يشتم ، لم يسب ، ولم يقبح وفي النهاية قدم الحل ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٦) - النمل ٢٥ - ٢٦ -

إن حديث الهدد لم يكن لينفذ نفسه من العقاب الذي توعد به سليمان عليه السلام وإنما أراد الهدد أن يوصل معنى هو أن هناك أمة عظيمة في كل شيء تقع تحت ظلمة الشرك وعليك أن تتحرك لنجدتها إنها رسالة محب لعباد الله ، إن القرآن يقص علينا هذه الأحداث في الزمن الماضي ليعلما أمراً هو أن رسالة الإسلام رسالة الحب رسالة الإنقاذ للعالم جاءت حتى على السنة الطير التي تؤمن بالله وتعترف له بالإلوهية والربوبية وتنتظر للعاصي بعين الشفقة أن يضيق عمره هدرأ ويصبح في الآخرة من الخاسرين ، إنها رسالة فكر وحوار لا رسالة جمود ودمار ، لذلك لم يكد سليمان عليه السلام يسمع ذلك حتى بدأ في العمل دون إضاعة وقت وانصب فكره على أمرين أولهما التأكد من الخبر والثاني رسم خطة عمل مدروسة ليسوق القوم إلى الايمان بالله الواحد الأحد . والفضل كله يرجع لله الذي يحب خلقه ثم إلى هذا الكائن الهدد الضعيف .

^١ انظر شهاب الدين السيد محمود الأنوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ٧ ص ١٧٧ ، ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢١٢ ط مؤسسة التاريخ - بيروت الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

يُعرض لنا القرآن الكريم صورة امرأة كانت ملكة عظيمة تربعت على عرش مملكة سبأ ،
فحكمت البلاد ، والعباد بالقبط والحق لكن مهما أوتي الإنسان من عقل وذكاء ، فإن الاهتداء
للحق منحة إلهية تأتي على صورة بَيِّنَات يرسلها الله مع رسله ، وينزلها في كتبه . من أجل
هذا لم تتمكن تلك الملكة الذكية من معرفة دين الله الواحد الحق ، فمع بلوغها الحكمة ، والعدل
في الملك إلا أنها لم تدرك عبادة التوحيد لما حصل لها من موروثة ببنية فاسدة تعاضمت
على مر الأزمان ، فسجدت هي ، وقومها للشمس قال تعالى : ﴿ وَجَدُوهَا وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ﴾ النمل ٢٤- ، وإلى جانب كون هذه الملكة امرأة وعلى عقيدة فاسدة إلا أنها كانت
صائبة حازمة ، جازمة ، صارمة تظهر الملكة متى اقتضى الأمر ذلك ، وتظهر المرأة إذا
تطلب الأمر ذلك أيضا ، هي تؤمن بمبدأ الشورى ، وتعمل بسياسة التوجيه ، لما جاءها خطاب
سليمان ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِ فِي أَمْرِ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ النمل ٣٢- .

فدلت بهذا الصنيع على أنها محنكة مجربة ، كما أنها امرأة تكره الحرب والتدمير ،
وتتضي سلاح الحيلة والملاينة قبل سلاح القوة والمخاشنة لما أجابها مستشاروها بأنهم
مستعدون لخوض الحرب ، قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَانًا
وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ النمل ٣٤- وهي مع كونها سياسية دبلوماسية أيضا ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدْيَةٍ فَتَأْتِرُهُمْ بِمَا رَجَعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل ٥٣- ، وعلى الرغم من اصطدام هذه السياسة
مع سياسة سليمان عليه السلام المتسمة بالذكاء والنزاهة والأمانة ، فوقف من الهدية موقفاً شديداً هز
كيان الملكة وأخافها ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ بِمَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِنَا أَتَنْتَهِى عَنْ أَنْ تَقْرَأُوا
بِهَا وَلَنْخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدَلَّةٌ هُمْ ضَالِّونَ ﴾ النمل ٢٧-^٢ من خلال هذا
العرض يتضح أن سياسة الحوار كانت هي الطريق الذي تميل إليه الملكة في حل مشاكلها
ولذلك لم تكن متعاضمة متكبرة ورأت أن تلقى الملك سليمان وتتعرف عليه وتتفاهم معه فلما

^١ جاء في تفسير الطبري وابن كثير أن اسمها بلقيس بنت شراحيل تفسير الطبري ج/ ١٨ ص ٤٧ هـ مركز الم. حود والدراسات العربية

بدار هجر الأولى ١٤٢٢ هـ ، تفسير ابن كثير

^٢ ينظر - لقمة - محمد محمد الجوانب الأدبية والبلاغية ص ٢٥٣ بتصرف ، سيد قطب التصوير اللغوي في القرآن الكريم ص ١٧١ ط دار

الشروق الرابعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

قابلت سليمان عليه السلام ورأت من المعجزات ما رأت سلمات بالنتائج التي توصلت إليها في أنه ليس ملك دنيا ولكنه رسول ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١١) هذه هي بلقيس أو الملكة التي تحدث عنها القرآن من خلال قصتها مع سليمان عليه السلام فنانظر كيف أن الحوار حمى دولة عظيمة من الوقوع في صراع لا تؤمن عواقبه قد يأتي بالدمار على الأبرياء ، ترى ماذا لو أن هذه الملكة ألغت عقلها ودخلت في صراع مع نبي الله سليمان ربما كان هناك وجه آخر لدولتها لا تحب أن تراه.

إن اللجوء إلى العقل عند الأزمات لهو أنجع الطرق لتلافي اللحظات الصعبة التي يمكن أن يعيشها المرء إذا لم يجعل للعقل مكاناً عندها.

٤- مستشاري الملكة

ينحصر دور المستشارين في القصة في المشورة على الملكة في أمر كتاب سليمان عليه السلام وحوارها معهم يكشف عن مدى الثقة المتبادلة بينهم ، وبين الملكة وحسن السمع والطاعة ، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ كَارِهِمْ﴾^(١٢) إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٣﴾ أَلَا تَمْلِكُوا عَلَى وَثَاقِ مُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿١٥﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْنَا فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿١٦﴾ والمراد بالملأ: أشرف القوم .

هذا هو حديث القرآن عن ملأ بلقيس ومستشاريها وهذا الحديث يوحي بأن الملأ الذين اجتمعت بهم عسكريين ، وكعادة العسكريين في كل زمان ومكان لا بد أن يظهروا استعدادهم العسكري في كل لحظة ، وإلا أبطلوا وظائفهم وعند الطبري عن مجاهد أن عدد المستشارين كان اثنا عشر ألفاً مع كل واحد منهم مائة ألف.

وذكر ابن كثير في تفسيره قال: (وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة . وكان أولوا مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل . والحقيقة أننا لا يعنينا العدد ولكن ما نلاحظه من خلال نص القرآن أن هؤلاء المستشارين كان ولاؤهم للملكة عميقاً إذ فوضوا لها الأمر وكانهم واثقين من كياستها وسياستها ، وحسن تصرفها ووقف دورهم في القصة عند المشورة فحسب.

^١ انظر الطبري - التفسير - ج ١٨ ص ٢١ .

٥- جن سليمان عليه السلام

مر أبطال القصة التي نحن بصدد دراستها هذا العفريت من الجن الذي مرض خدمته على يدنا سليمان عليه السلام بإحضار عرش الملكة قبل أن يقوم سليمان من مقامه حيث كان من المملأ الذي يجلس مع سليمان عليه السلام وفي هذا الصدد يقول الله تبارك وتعالى على لسان سليمان : ﴿ قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَآيِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ نَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ النمل - ٣٨ - ٣٩ -

من المعلوم عندنا علم اليقين أن الله تعالى سخر الجن لسليمان عليه السلام وكذلك الشياطين قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم مَّنْ أَمَرْنَا نُلْقِهِ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سبأ ١٢) ، والجن خلق لا نعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن الكريم، وهو أنه تعالى خلقهم من مِّن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ أي من لهيب ممزوج من النار، وأنهم يرون البشر والبشر لا يرونهم ﴿ إِنَّهُمْ يَرْتَكُمْ هُوَ وَفِيْلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ٢٧) ، والكلام في الآية عن إبليس أو الشيطان وإبليس من الجن ومن أعمال الجن الوسوسة في صدور الناس بالشر عادة والإيحاء لهم بالمعصية ، ولا ندري كيف؟ ولقد أخبرنا القرآن أن من الجن طائفة آمننت برسول الله ﷺ أخبر بذلك القرآن ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَخَا ﴿٢﴾ الجن - ١ - (٢) ، ونعرف أن الله تعالى سخر لسليمان عليه السلام طائفة منهم يبنون له المحاريب والتمائيل، والجفان الكبيرة للطعام ، ويغوصون له في البحر ، ويأتمرون بأمره بإذن الله، ومن المعلوم عقلا أن الله تعالى لم يسخر جميع الجن لسليمان عليه السلام ولكن سخر له طائفة منهم ، فلم يكن جميع الجن، وكذلك الطير كلهم مسخرين له، وإبليس وذريته من الجن كما قال القرآن : ﴿ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (الكهف ٥٠) وقال تعالى في سورة الناس : ﴿ الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ (سورة الناس) ، وهؤلاء كانوا يزاولون الإغواء ، والشر ، والوسوسة للبشر في عهد سليمان عليه السلام وليس من الممكن عقلا أن يزاولوا الإغواء وهم مسخرون لسليمان عليه السلام ، ومما يحيله العقل أيضا أن تكون جميع الطيور مسخرة كذلك، ويؤخذ

هذا من تفقد سليمان للطير ، فهو كانت الطيور كلها مسخرة ما استطاع سليمان أن يتبين
غيبه هدهد واحد من ملايين الطيور^١.

وعلى هذا نقول إن الجن الذي سخر لسليمان الكهنة كان جناً خاصاً سخره الله تعالى له
فسيطر عليه بأمر الله لإعمار الأرض وعمل الخير.

^١ ينظر سيد قطب في ظلال القرآن ج ٥ ص ٦٣٥ وما بعدها بتصريف أهل دار الشروق الثانية والثلاثون ١٤٢٢ هـ .

المبحث الثاني

أقسام الحوار في القصة

(١) الحوار بين الهدد ونبي الله سليمان ونتيجته .

(٢) الحوار بين ملكة سبا ومستشاريها ونتيجته .

(٣) الحوار بين سليمان عليه السلام ومستشاريه ونتيجته .

أولاً : الحوار بين الهدد ونبي الله سليمان

الحوار كما جاء في القرآن

قال تعالى: ﴿وَتَقَدَّرَ الظَّرْفَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٠﴾ لِأَعْدَيْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٍ بَقِيَّةٍ ﴿١٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْمُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتُ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧﴾ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

الملاحح البلاغية في الآيات

قال تعالى : (وَتَقَدَّرَ) ولم يقل (طلب) ، لأن التقدّر طلب الفقد ويطلق على طلب معرفة سبب الغياب فالتقدّر يكون لما غاب ، والطلب يكون لمن هو حاضراً .

قال تعالى : (فَمَكَثَ) ولم يقل (فلبث) ، لان المكث يعبر به عن المدة الصغيرة في حين أن اللبث يعبر به عن المدة الطويلة وغياب الهدد عن سليمان عليه السلام لم يكن طويلاً ، ولهذا عبر عن هذه المدة القصيرة بقوله (مكث) ، أما بالنسبة للمدة الطويلة فإن القرآن عبر عنها بـ (لبث) قال تعالى : ﴿ وَاسْتَوُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . الكهف ٢٥ -

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ ﴿١١﴾ - العنكبوت ١٤ -

وقوله تعالى : ﴿ أَحَاطَ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ ﴾ دون أن يقول علمت ما لم تعلم.

لأن الإحاطة أعم من العلم ، فإن الإحاطة بالشيء علمه من جميع جهاته بحيث لا يخفى منه معلوم ، وفي هذا إشارة إلى أن هناك من هو أدنى في الخلق ، وأضعف أحاط علما بما لم يحيط به سليمان عليه السلام ، ذلك تأديب للنفس بترك الإعجاب ، وقد يكون في إخفاء الله عز وجل مكان هذه المملكة مع قرب المسافة لمصلحة أرادها الله تبارك وتعالى ، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليه السلام^١ ،

قوله تعالى : ﴿ وَحِثْلُكِ ﴾ ولم يقل أتيتك . قال الراغب (الإتيان مجيء بسهولة) وفي المجيء قال : المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم لأن الإتيان مجيء بسهولة والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول والمجيء يقال باعتبار الحصول ويقال جاء في الأعيان والمعاني ولما يكون ملجئته بذاته وبأمره ولن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً؛ وقال ابن فارس في الإتيان وهو حسن المطاوعة قال الخليل : أتيت فلاناً على أمره مؤاتاة وقال في جاء: جأني فجنّته أي غالبني بكثرة مجيئه فغلبته (٢) ، ومن المفهوم من نص الراغب وابن فارس أن الإتيان قد يكون لأمر غير ملّح وغير ضروري أما المجيء فيكون لما هو ضروري وملّح كما أن المجيء أعم كما ذكر الراغب.

قوله (يَكْرَهُ) ولم يقل بخبر لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال^٢

وتتكير (أمرأة) في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ ﴾ وهي مفعول أول لوجدت له حكم المبتدأ فهو كالابتداء بالنكرة إذ أريد بالنكرة التعجب من جنسها لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على قوم ولذلك لم يقل وجدتهم تملكهم امرأة .

^١ انظر الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الكشاف ج ٤ ص ٤٤٦ ط/ مكتبة المبيكان / الأولى ١٤١٨ هـ بتصرف ، أبي الطيب صديق خان التتوحي البخاري فتح البيان في مقاصد القرآن ص ١٢٨ ط/ دار الكتب العلمية - بيروت/ الأولى ١٤٢٠ هـ .

^٢ الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن ص ٨ كتاب الألف ، ص ١٠٣ باب الجيم ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ ت/ محمد سعيد كيلاني والنظر ابن فارس الحسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس

اللغة باب أتي ، وباب جيا نشر مكتبة الخانجي الثالثة بصون تاريخ

^٣ الزمخشري الكشاف ج ٤ ص ٤٤٧

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ﴾ الخبز مصدر خبأ الشيء إذا أخفاه وأطلق هنا على المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو الشأن في الإصف بالمصدر ، ومناسبة وقورع الصفة بالموصول في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ﴾ لحالة خبر الهدد ظاهرة ، لأن فيها اطلاقاً على أمر خفي ، وإخراج الخبز وإيرازه للناس أي إعطاؤه ، أي إعطاء ما هو غير معلوم لهم من المطر وإخراج النبات وإعطاء الأرزاق ، وهذا مؤذن بصفة القدرة قوله تعالى: ﴿وَيَمَكِّرُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ مؤذن بعموم صفة العلم .

وتعريف (العرش) في قوله (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) للدلالة على معنى الكمال ووصفه بـ (الْعَظِيمِ) للدلالة على كمال العظمة في تجسم النفاسة^١ .

وفي التعبير بقوله: ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ دون أن يقول أم كذبت ، إيدان بأن تلفيق الأقوال المنمقة واختيار الأسلوب الذي يستهوي السامع إلى قولها من غير أن يكون لها حقيقة تعبر عنها لا يصدر إلا ممن مزّن على الكذب ، وصار سجيّة له حتى لا يجد وسيلة للبعد عنه ، وهذا يفيد أنه كاذب على أتم وجه ومن كان كذلك لا يوثق به^٢ .

سرد الحوار

تبدأ هذه الحلقة من القصة في صورة مشهد عسكري يستعرض فيه نبي الله سليمان جنده ، وها هو ذا في موكبهِ الفخم الضخم يتفقد الطير فلا يجد الهدد ويفهم من السياق أنه هدّد خاص له سمات خاصة ، فيسأل عنه ﴿مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كُنَّا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ويتضح أنه غائب ويفهم أنه غائب بدون أن من الملك ، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بعين الحزم حتى لا تكون فوضى ، ومن ثم نجد لغة التهديد لهذا الجندي الغائب المخالف ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْخَمَنَّكَ﴾ ولكن سليمان عليه السلام ليس ملكاً جباراً في الأرض ، إنما هو نبي وهو لم يسمع بعد حجة الهدد الغائب فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائياً قبل أن يسمع عذره .

وهنا تبرز سمة النبي العادل على سمة الملك الحازم ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة قوية توضح عذره ، وتنتفي مواخذته ثم يحضر الهدد ومعه نيا عظيم يعد مفاجأة بالنسبة لسليمان عليه السلام ولما كان يعرف حزم الملك وشدته بدأ الحديث بالمفاجأة التي تطغى على

^١ انظر الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢٤٩، ٢٥٠ بتصريف.

^٢ الشيخ محمود الراعي تفسير المراغي ج ١٩ ص ١٣٤ ط: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان بدون تاريخ .

موضوع غيبته ، ليضمن إصغاء الملك ﴿أَحَاطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَخِشْتُكَ مِنْ سَبَإٍ يَبُكِّرِينَ﴾^١ ، ثم لما ضمن إصغاء الملك فصل النبأ ، فذكر أنه وجد مملكة ليست بالبعيدة عن ملك سليمان ، ومن عجب ما رأى أن الملك الذي يحكم هذه المملكة امرأ ، وأنها أوتيت من كل شيء متعلق بأسباب الحضارة والقوة والمتاع ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يدل على الغنى والترف وارتقاء الصنعة ، وذكر أنه وجد هذه الملكة ، وقومها يسجدون للشمس من دون الله وعلى ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم فأضلهم ، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْمَعْبَةَ فِي السَّكَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فكل ما يتعلق بالمخبوء وراء ستار الغيب في هذا الكون العريض يخرج الله حتى ما انطوت عليه النفوس ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

في هذه اللحظة يهز الهدد أعطاف سليمان ﷺ بذكر عظمة الله التي لا تساويها عظمة ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

وفي هذا المشهد نجد أنفسنا أمام هدهد عجب صاحب إدراك وذكاء ، وإيمان ، وبراعة في عرض النبأ ، وبقطة إلى طبيعة موقفه ، وإيماء أريب .. فهو يدرك أن هذه الأمة التي ينقل أخبارها أمة مشركة تسجد للشمس من دون الله ، و يدرك أنه لا ينبغي أن يكون سجود إلا لله رب العرش العظيم .

ولا يتسرع سليمان ﷺ في تصديقه ، أو تكذيبه ، ولا يستخف بالنبأ الذي جاءه ولكن أخذ الأبهة للتأكد من صحة الخبر .

﴿قَالَ سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٧) أَذْهَبَ يَكْتَتِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ^٢

^١ ينظر سيد قطب في ظلال القرآن بتصرف ج ص ٢٣٨

سمة الحوار بين الهدد وسليمان عليه السلام

من خلال عرض الحوار بين الهدد ونبي الله سليمان نجد العقل لمعب دوره في هذا الحوار يتجلى ذلك :-
أولاً : في كلام الهدد حيث نجد (الذكاء) في إدارة الحوار .

إذ لما كان سليمان عليه السلام قد أتاه الله من كل شيء ، وكان له عرش عظيم أخبره الهدد بهذا النبأ العظيم ، حيث كان في الدنيا من يشاركه فيما يقرب من ذلك ، وليس من يملك هذا العرش رجل ولكنه امرأة ، فلما لم يلتفت سليمان عليه السلام لذلك إذ كان معرضاً أمور الدنيا انتقل الهدد إلى الإخبار إلى ما يتعلق بأمور الدين لعلمه أن ذلك مما يلتفت نظر سليمان عليه السلام .

يقول أبو حيان وما أحسن انتقالات هذه الأخبار بعد تهدد الهدد وعلمه بذلك : أخبر أولاً باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمان عليه السلام تحصناً من العقوبة بزيئة العلم الذي حصل له فتشوف السامع إلى علم ذلك ، ثم أخبر ثانياً بتعلق ذلك العلم وهو أنه من سبأ وأنه أمر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع إلى سماع ذلك النبأ ، ثم أخبر ثالثاً عن الملك الذي وأتيته امرأة ، وكان سليمان عليه السلام قد سأل الله أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال وهو قوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) وقوله (وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) ، ولما لم يتأثر سليمان عليه السلام للإخبار بهذا كله ، إذ هو أمر دنيوي ، أخبره خامساً بما يهزه لطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان ، وإفراد الله عز وجل بالعبودية فقال : (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهذه الأخبار من الهدد كانت على سبيل الاعتذار عن غيبته إذ كان في غيبته مصلحة لإعلام سليمان بما كان خافياً عنه ١ فانظر كيف أدار الهدد الحوار بذكاء ، حيث جعله في صورة تقرير له مقدمة مشوقة معبرة عن الموضوع الذي سوف يتناوله ، ثم أبان منهجه في التقرير وهو الصدق لا التكهن ، ولا التخمين (يُبَكِّرِينَ) ثم سرد عناصر التقرير التي تمثل صلب الموضوع فأعطى صورة شاملة ضافية تتضمن عناصر عدة أهمها :-

• نظام الحكم (إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ) .

• القدرة الاقتصادية (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) .

^١ - ينظر - أبو حيان الأندلسي البحر المحييط ج ٧ ص ٦٥ بتصرف ط / دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان الثانية ١٤٢٨ هـ .

- النظام الحضاري والصناعي ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ .
- الوضع الديني ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ﴾ .
- التوصيات ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَذَرُ مَا تُخَفُونَ وَمَا تَلْمِزُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ .

وهنا يتوقف سيدنا سليمان أمام ما القاه الهدهد إليه وكأنه أمام جندي لم يكنف بمجرد تأديته الأوامر ولكن يؤمن بالرسالة التي سخر من أجلها ويبدع ويتقن في أداء دوره.

ثانياً: في تصرف سليمان ^(عليه السلام) يبرز ذلك فيما يأتي:-

أ- تركه المجال للحوار ﴿أَوَلَيْتَنِي بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ﴾ فقد ترك المجال للحوار وقبول العذر إن وجد.

ب- الاستماع والإنصات دون مقاطعة ، وهذا واضح في الحوار ، حيث إن معظم الكلام كان للهدهد .

ت- تحمله جراءة الهدهد الذي قال له ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾

ث- لم يبين قراره في الحوار على خبر فإن القرارات لا تبني إلا على حقائق فكلام الهدهد بالنسبة له كلام يحتمل الصدق ، أو الكذب وهذا يحتاج إلى تبين ﴿قَالَ سَتَرْتُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

ج- التعرف على صدق الهدهد ، وفي نفس الوقت التعرف على رد فعل الملكة وقومها ، حيث أرسل الهدهد بكتاب يتعلق بما أخبره به ، فإن كان صادقا لن يتوان في أخذ الكتاب وإن كان غير ذلك تردد وتلكأ هذه واحدة : أذهب بكتبي هكذا قال له النبي ﷺ ، أما بالنسبة للملكة فالتعرف على أسلوب تفكيرها ومدى عقلها ﴿لَمْ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ سَاعًا يَرْجِعُونَ﴾ هذه الثانية .

ح- إرساله الهدهد بالكتاب وهو أمر عجيب بالنسبة للملكة مدعاة للتدبر والتفكير قبل اتخاذ أي قرار فهي لا تعلم من تواجه

نتيجة الحوار

لقد نتج من إعطاء الحرية في إجراء الحوار فوائد لأطراف الحوار كل على حسب موقعه
نجمها فيما يأتي :-

أ- بالنسبة للهدد:

أدى إعطاء حرية الحوار إلى إنقاذ نفس الهدد من التعذيب الذي ذكر المفسرون فيه أقوالاً
متعددة تبدأ بنسف الريش وطلّيه بالقطران وتنتهي بإبعاده من خدمة نبي الله سليمان^١ ، كذلك
إنقاذ حياته من الذبح وهي نتيجة إيجابية نتجت عن إعطاء الحرية في إجراء الحوار .
ب- بالنسبة لسليمان عليه السلام أدى إلى :

ظهور معلوم كان خافيا عليه حيث أخبره الهدد بما كان يجهله من وجود مملكة كبيرة
وأمة عظيمة على مقربة منه ولولا إعطاء الفرصة للحوار لما تحسّل له من العلم ما تحصل
على الرغم من قرب المسافة بين المملكتين وكلاهما أمة عظيمة الشأن ، بحيث لا يخفى على
أحدهما وجود الآخر ، مما يجعل النبي سليمان أكثر تواضعاً وخضوعاً لرب العالمين .
ج- بالنسبة لمملكة سبأ أدى ذلك إلى :-

حصول التواصل بين مجتمعين يهدف أحدهما إلى التفاهم الفكري الذي يؤدي إلى الانسجام
العقدي وذلك بالدلالة على الخالق جل وعلا مما يدعم التواصل بعد ذلك في شتى مناحي الحياة
وكل ذلك نتج عن إعطاء الفرصة للحوار .

ثانياً الحوار بين بلقيس ومستشاريها

الحوار كما جاء في النص القرآني:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَيْنَا لَكُنْزٌ كَرِيمٌ ١١ ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١٢ ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ ١٣ ﴾ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِينَ أَسْبَابَ الْمُلُوكِ ١٤ ﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ١٥ ﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا فُوقُ وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ١٦ ﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَانًا ١٧ ﴾ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ١٨ ﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ١٩ ﴾ ٢٠ ﴾

من الملامح البلاغية:

^١ ينظر الأنوسي روح المعاني ج ٧ ص ١٧١ ونجده من مكتب التفسير بالمأثور .

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا﴾ تأكيد الجملة هنا للاعتناء بالحكم قوله: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^١ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾. قال الطاهر بن عاشور: "كان خطاب سليمان أوجيزاً ، لأن ذلك أُنْبِئَ بمخاطبة من لا يحسن لغة المخاطب فيقتصر له على المقصود ، لإمكان ترجمته ، وحصول فهمه فأحاط كتابه بالمقصود".

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا أَلْهَامًا﴾ التكرار للإيدان بغاية الاعتناء بما في حيزها ، وقَصَبَتْ من ذلك استعطافهم وتطبيب نفوسهم ليساعدوها ، وأكدت ذلك بقولها ﴿بِمَا كُنْتَ قَائِلَةً أَلْهَامًا﴾^٢

ومن الملاحظ أن السياق القرآني في الآيات مليء بالمؤكدات وإنما كان ذلك ؛ ليكشف عن عظمة الموقف بعد إلقاء كتاب سليمان عليه السلام ، ويبدأ ذلك بقوله ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا﴾^٣ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فال تأكيد بأن يوحى باهتمامها بمرسل الكتاب ، وبما تضمنه الكتاب وهذا بدوره يكشف عن شخصيتها الملكية من ناحية حرصها على مصلحة شعبها واحترامها لمكانة الأطراف الأخرى، وعندما أبدى ملؤها رأيهم بأنهم مستعدون للحرب ردت مؤكدة للخبر الذي تريد ذكره ومحقة له ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَوَّلَ﴾^٤ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ يَمْ رَجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ، فافتتحت الجملة بآية مؤكدة اهتماماً بتحقيق الخبر ، فقالت (إِنَّ الْمُلُوكَ) وختمتها بقول (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) تأكيداً للمعنى الذين أرادته وتقريراً له بأن ذلك من عادتهم المستمرة ، ثم أتت ذلك بما عزمته عليه من المسالمة فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ يَمْ رَجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق (إني) ، للإيدان بأنها مزمنة على رأيها لا يلويها عنه صارف^٥.

^١ الطاهر بن عاشور التحرير والتوير ج ١٩ ص ٢٥٥

^٢ انظر الألوسي روح المعاني ج ٧ ص ١١٢

^٣ ينظر أبو السعود محمد بن محمد العمادي إرشاد الفعل السامع ج ٦ ص ٢٨٤ ط دار التراث العربي بدون تاريخ ، وينظر ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب المحرر الوجيز ج ١١ ص ٢٠٤ طبعة مصححة الثانية طبعت بموافقة ورثة السيد/ عبد العال إبراهيم محقق الكتاب بدون تاريخ، وينظر د/ نورة بنت محمد بن فهد الرشيد شخصية المرأة في القصص القرآني دراسة أدبية تحليلية ص ٣٣١ ط دار ابن الجوزي الأولى ١٤٢٧ هـ .

سرد الحوار

تأتي هذه الحلقة بعد الحلقة الأولى من كلام الهدد مع سليمان ^(عليه السلام)، وإرساله بكتاب إلى ملكة سبأ فلما ألقى إليها الكتاب جمعت قومها لاتخاذ قرار بخصوصه واختصرت ذلك الحوار في قراءة الكتاب للتداول فيه **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّ إِلَٰهِي إِلَٰهُكُمْ كَرِيمٌ﴾** وفي فعلها ذلك دلالة على أن الشورى كان مبدأها ، وما هو نص الكتاب **﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَتْلُو عَلَى وَثُتَيْنِ مُسْلِمِينَ﴾** (النمل ٣٠) فلما انتهت من قراءة الكتاب التفتت إلى قومها في حوار صريح وهادي ، وقالت : **﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾** والفتوى هي الجواب في الحادثة، فرد مستشاروها فقالوا : **﴿نَحْنُ أَوْلُوْا قَوْلًا وَأَوْلُوْا بِأَيِّ شَيْدٍ وَالْأَخْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾** (النمل ٣٣). وحاصل الجواب أن القوم ذكروا أمرين أحدهما: إظهار القوة الذاتية والعرضية ليظهروا أنها إن أرادتهم للدفاع والحرب وجدتهم بحيث تريد ، والآخر قولهم : **﴿وَالْأَخْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾** (وفي ذلك إظهار الطاعة إن أرادت السلم) ، فانطلقت الملكة في بيان اختيارها الموافق للعقل المرجح للسلم فإنها ملكة تعرف أدبيات الحرب ، وملمة بأفعال الملوك في القرى ، فقالت في أسلوب عقلائي جميل مليء بالحكمة : **﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾** (النمل ٣٤). ثم لجأت إلى الحيلة ، ورأت أن تختبر الملك سليمان الذي أرسل إليها الرسالة **﴿وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾** ^(٣٥) وبهذه الآيات تنتهي حلقة الحوار بين الملكة ومستشاريها.

سمة الحوار بين الملكة ومستشاريه

يظهر دور العقل في إدارة الحوار في هذه الحلقة في الملكة حيث استخدمت الشورى في اتخاذ القرارات وهذه قاعدة أساسية في لإرساء دعائم الملك ورد الفتى **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾** .
الأدب في الحديث عن الآخرين **﴿إِنَّ إِلَٰهِي إِلَٰهُكُمْ كَرِيمٌ﴾** على الرغم من أن لهجة الكتاب كانت قوية **﴿أَلَا تَتْلُو عَلَى وَثُتَيْنِ مُسْلِمِينَ﴾** .

^١ الرازي فخر الدين محمد بن عمر - مفاتيح الغيب ج ١٢ ص ١٦٧ ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الثانية .

الثبات ووضع الأمور في نصابها:

إن لما ألقى إليها الكتاب 'دركت' أنه مرسل من حاكم عظيم في وقتها امرأة فلم تغلبها عواطف الضعف التي تتسلط على النساء عند الأزمات بل استقبلت الكتاب بقلب ثابت وعقل يقظ فجمعت أهل الرأي لأخذ مشورتهم.

بذل النصيحة بالتحذير من العواقب:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ بَفَعَلُوا﴾

السياسة لتحاشي الضدام ومعرفة طريقة التفكس:

﴿وَلَا فِي مَرْيَلَةٍ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاطَرُؤُا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة : رحمها الله ورضي عنها ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها !! علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس .
ونستطيع أن نجمل الكلمة فنقول إن حوارها تميز بالحكمة والحنكة وضبط النفس في المواقف الصعبة.

ثانياً: بالنسبة لمستشاريها:

يظهر دور العقل في الحوار في التالي:-

- (١) أنهم اظهروا القوة الذاتية المتمثلة في الأجسام والآلات والعرضية التي تتعلق بالنجدة والثبات في الحرب ليؤكدوا للملكة أنهم على استعداد دائم للدفاع عن المملكة في أي وقت ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قَوْمَهُ وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾
- (٢) اظهروا الطاعة والانقياد لها إن سلكت أي مسلك آخر وفي هذا دلالة على التلاؤم والتلاحم بين الملكة وقوادها ، فإن هي أرادت للحرب أن تدور رحاها فهم على أتم الاستعداد ، وإن سلكت مسلك السلم فهي الفائزة وهم لها تبع فما أحسن هذا من جواب عاقل'

﴿وَأَلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾

^١ ابن كثير إسماعيل بن عمر تفسير القرآن العظيم ج ١٠ ص ٤٠٥ ط / عالم الكتب للطباعة والنشر الأولى ١٤٢٥ هـ .

^٢ ينظر الرازي مفاتيح الغيب بتصريف ج ٢٢ ص ١٦٧

نتيجة الحوار بين الملكة ومستشاريها

- (١) نموذج المرأة الحكيمة السياسية العاقلة الثابتة ، ويمثل ذلك في :-
- ١- القدرة على مواجهة المفاجآت ، فقد كان سليمان عليه السلام بالنسبة لها غير معلوم وفجأة ظهر كتاب ألقى إليها يدعوها إلى الإسلام ، فكان التصرف منعقلا .
 - ب- الموازنة في الكلام بين الإيجابيات والسلبيات ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ٢٢ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون .
 - ج- إتباع طريقة الحوار يؤدي إلى السمع والطاعة ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ .
 - د- التعرف على الآخر خلال وضعه في اختبار . ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .
- (٢) نموذج المستشار العاقل: ويمثل ذلك في:
- إظهار التفوق والقوة مع الميل إلى الحوار ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ .
 - والليل على أن الحوار هو الطريق لحل المشكلات أنهم بنوع الملكة فيما ارتأته من إرسال الهدية للملك .
- وبعد لقد لعب العقل دورا بارزا في حوار الملكة مع مستشاريها ، فلم يكن الاستماع والتخبط والتفريق هو سيد الموقف في هذا الحوار ، ولكن التبصر على الرغم من قوة المملكة ونهضتها سياسيا وحضاريا وعلى الرغم من عدم إيمانهم بالله إلا أن ذلك لم يدفعهم إلى الجور والتعصب والعمى ، وهذا يوصلنا إلى شيء وهو أنه ليس كل مخالف لنا في العقيدة مشهور متعصب وبلا عقل ، والقرآن الكريم من خلال ذكر هذه النماذج فيه دعوة صريحة إلى استخدام الحوار وسيلة من وسائل التفاهم وتحاشي الصدام حتى ولو كان الرد عنيفا أو مستهترا ، فليكن العقل الواعي شعار المسلمين كما علمنا القرآن .

ثالثا الحوار بين نبي سليمان عليه السلام

ومستشاريه من الجن

نصر الحوار كما في القرآن :

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَتَّبِعُهَا الْمَلَأُوا أَنْكُمْ بِأَتْنِي بَعْرُشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونَ مُسْلِمِينَ ﴾ (٢٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ . قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (٢٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ . قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٣٠) قَالَ تَكَرُّوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيْ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٣١) ﴿

من الملامح البلاغية في الآيات

- قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أي قادر على حمله وأمين على ما فيه وكأنه أراد أن يثبت لنفسه التكليف بالقيام بالأمانة فذكر أهم صفتين لذلك لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد تم المقصود".

- قوله تعالى : ﴿ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ تتكرر (علم) للتخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود" ٢ ، وبداية الآيات انتقال فجائي بين قول الذي عنده علم من الكتاب وتكفله بأن يأتي بعرشها وقبل أن يرتد طرف سليمان إليه وبين وقوع ما تعهد به من إحضار العرش عند سليمان.

- إن القارئ لهذه الآية يعيش فيها بشعوره وإحساسه بدقة عظيمة ، إذ أنه -أي القارئ - لا يكاد يرتد إليه طرفه حتى يفاجئه سياق الآية بتحقيق الأمر ووقوعه ، وهذا نمط البلاغة القرآنية فقد تضافر اللفظ والمعنى والسياق في تأدية القصة ونقل ذلك الجو الذي جرت فيه تلك الواقعة العجيبة" ٣ .

- وقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ أبلغ من انتفاء الاهتداء من لا تهدي أي : لا تعرف.

¹ ينظر د/ فايز صالح الخطيب الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ ، بتصرف ص ٣١٩ د/ فايز صالح الخطيب - مجلة دمشق المجلد السابع عشر العدد الثاني ٢٠١١ م .

² أبو السعود إرشاد العقل المسلم ج ٦ ص ٢٨٧

³ ينظر مقال الدكتور / عبد الله بن سليم الرشيد بعنوان نفحات من بلاغة القرآن ، موقع شبكة المنهاج المسلم .

سرد الحوار بين سليمان عليه السلام

ومستشاريه من الجن

تبدأ حلقة أخرى من حلقات الحوار في هذه القصة وهي حوار الملك سليمان مع مستشاريه ، ويظهر أن هذه الحلقة هي ما قبل الأخيرة بعد حصول المراسلات لتمهيد اللقاء بين نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ .

ويظهر في هذه الحلقة الملك سليمان يجلس وحوله جنوده من الجن والإنس ، ثم يقول لهم إني أريد عرش الملكة هنا ، وهنا يتصدر الكلام عفريت من الجن ممن سخرهم الله تعالى لهذا النبي الكريم ؛ ليعرض خدمته على الملك بإحضار عرش الملكة قبل أن يقوم من مقامه ، ثم يدخل في الحوار شخص آخر يصفه القرآن بأنه عنده علم من الكتاب ، يعرض على الملك أن يأتي إليه بالعرش في غمضة عين قبل أن يرتد طرفه إليه ، ولم يذكر القرآن الكريم اسمه ولا الكتاب الذي عنده علم منه ، ولا نفهم من نص القرآن إلا أنه رجل مؤمن على اتصال بالله موهوب من الله قوة كبرى لا تقف عند الحواجز والأبعاد ، وأتخذ جرى بعض المفسرين وراء معرفة هذا الذي عنده علم من الكتاب حتى ذكر بعضهم أنه سليمان نفسه - عليه السلام ، والراجح أنه غيره فلو كان هو لأظهره السياق باسمه ولما أخفاه ، كما أن مقامه من النبوة والملك يجعله يترفع عن مباشرة هذا العمل .

ولقد وفي الذي عنده علم من الكتاب بما أخذ على نفسه فإذا العرش ماثلاً أمام سليمان عليه السلام في غمضة عين ، " وقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان عليه السلام وراعه أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو فاستشعر النعمة ، واستشعر أنها ابتلاء ضخيم يحتاج إلى بفضة منه ، ويحتاج إلى معرفة الشعور بالنعمة والشعور بفضل المنعم فتوجه إلى صاحب الفضل سبحانه وقال: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكُفِّرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ وبعد هذه الانتفاضة من الشعور بفضل الله تعالى والشعور بما وراء النعمة من الابتلاء يمضي سليمان عليه السلام في تهينة المفاجآت للملكة القادمة . ﴿ قَالَ تَكَرُّوا هَٰذَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

ولعل هذا كان اختباراً من سليمان عليه السلام لذكائها وتصرفها أثناء مفاجأتها بعرشها .

^١ ينظر سيد قطب في طلال القرآن بتصرف ج ٥ ص ٢٦٤

سمة الحوار بين نبي الله سليمان ومستشاريه

لقد لعب العقل دوره في هذه الحلقة من الحوار الذي دار بين سليمان عليه السلام ومستشاريه، وذلك فيما يأتي:-

الحيلة وكان ذلك بوضع خطة نتج عنها الوصول إلى نتيجة ألا وهي إسلام الملكة ، وكانت هذه الخطة تتمثل في استخدام ما أنعم الله به عز وجل على سليمان عليه السلام من تسخير الجن والإنس ، وذلك بأن يأتوا بعرشها ليكون علامة توصل إلى الإيمان ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيَكُمُ يَأْتِي بَعْرِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتَوْهُ سُليمان﴾

١. ظهور قيمة العلم ومكانته وقوته الذي هو موضوع السورة الكريمة

ذلك أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة ، وأن الحكمة مكتسبة لقول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وأن قوة العناصر. طبيعة فيها ، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضاً. فذكر في هذه القصة مثلاً لتغلب العلم على القوة".

٢. التواضع وعدم الكبر والغرور

وكان ذلك بنسبة الفضل إلى أهله ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ، لما ذكر سليمان عليه السلام الفضل نسبه إلى الله بعنوان كونه ربه لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد ربه فليس إحسان الله إليه إلا فضلاً محضاً ، ولم يشتغل سليمان عليه السلام حين أحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه ، ولا بمقدرة رجاله ولكنه انصرف إلى شكر الله تعالى على ما منحه من فضل وأعطاه من جند مسخرين بالعلم ، والقوة فمزايًا جميعهم ، وفضلهم راجع إلى تفضيل الله له ، ثم ضرب حكمة خلقية دينية وهي ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ " فكل متقرب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا ، فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك".

¹ الطاهر بن عاشور لتحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢٦٥ بتصرف.

² المرجع السابق نفس الجزء والصفحة بتصرف.

نتيجة الحوار بين سليمان عليه السلام

ومستشاريه

نتج عن الحوار بين سليمان عليه السلام ومستشاريه ما يأتي :-

بالنسبة لسليمان :

(١) حصول المراد من الاتيان بعرش الملكة في غمضة عين .

(٢) بيان فضل الله تعالى على سليمان عليه السلام ، وشعوره بذلك ، وشكره لربه على النعمة التي أنعم الله بها عليه من تسخير المخلوقات له .

بالنسبة لمستشاريه:

معرفة مكانة العلم ، وفضله وقوته ، وأنه مقدم ، وذلك بحصول التفاوت في المقدرة بين العفريت ، والذي عنده علم من الكتاب .

المبحث الثالث

الحوار بين نبي الله سليمان ومملكة سبأ

يدور الحوار بين نبي الله سليمان ومملكة سبأ من خلال القصة في حلفتين .

الحلقة الأولى: يحلوا لي أن أسميها حلقة الحوار عن بُعد (الاستكشاف) أو جس النبض من الطرفين ، وفي هذه الحلقة يقول تعالى: ﴿ أَذْهَبَ بِكُنْيَا هَذَا فَالِقَةَ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٨) ، فلما ذهب الهدد بالكتاب ، وألقاه إليهم جمعت الملكة مستشاريها ، وتحاورت معهم وانتهى الحوار باستخدام الحيلة كطريقة موصلة للسلم وكان ذلك بإرسال هدية إلى نبي الله سليمان ، فلما جاء رسلها إلى نبي الله سليمان بالهدية ثارت ثائرتة واعتبر ذلك إهانة له قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُنِيدُونَني بِبَالٍ مِمَّا آتَيْنِيهِ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٢٩) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجَبُورٍ لَا يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا وَفْرٌ خِزْمَتُهُمْ مِنْهَا أَدْلَةٌ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴾ (٣٠) .

الحلقة الثانية:

يحلو لي أن أسميها حلقة الحوار عن قرب (المواجهة).

وهذه الحلقة بدأت عندما ذهب رسل الملكة إليها ، وأعلموها بموقف الملك نبي الله سليمان من الهدية التي أرسلتها فرأت الملكة أن تذهب بنفسها إلى سليمان عليه السلام لتجري معه حواراً ، وتستعلم بنفسها ، وترى بعينها فأرسلت إلى الملك نبي الله سليمان تعلمه بعزمها على لقائه فأعد نبي الله سليمان العدة للقاءها بما دار من الحوار بينه وبين مستشاريه فأمر بإحضار عرشها أثناء قدومها ليكون من دواعي إيمانها وهجرها الشرك وتبدأ هذه الحلقة بقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٣١) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٣٢) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣)

الملاحح البلاغية في الآيات:

الاءاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ ﴾ (تفيد سرعة الرد من سليمان عليه السلام) وقوله تعالى: ﴿ أُنِيدُونَني بِبَالٍ ﴾ (الاستفهام هنا إنكاري لأن حال إرسال الهدية والسكوت عن الجواب يقتضي

صرف سليمان عليه السلام عن طلب ما طلبه بما بذل له من المال ، فيقتضي أنهم يحسبونه محتاجا إلى مثل ذلك فيقتنع بما وجه إليه .

وتكثير مال للتحقير ، ولذلك قال بعدها (فَمَا مَاتَنِ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا مَاتَكُمُ) بالفاء ولم يقل (وما آتاني الله خير مما آتاكم) بالواو .

والفرق بين الواو والفاء في هذه الجملة أنه لو قال: (وما آتاني الله) لكان مشعراً بأن الملكة تعلم ذلك ، لأن الواو تكون واو الحال ، وأما القول بالفاء فيعني أنكم لا تعلمون حالي من الغني والمال وسعة الدنيا ، وما هو أعظم من ذلك وهو الإيمان والنبوة ، لأن الفاء تعليل لما تقدم من إنكاره عليهم إمداده بالمال .

وقوله (لَأَنْتُمْ بِهَيْئَتِكُمْ تَقْرَحُونَ) بل للإضراب الانتقالي وهو انتقال من إنكاره عليهم إمداده بالمال إلى رد ذلك المال وإرجاعه إليهم وتوبيخهم فيكون الإضراب هنا للتنبيه على أن إمداده بالمال منكر وقبيح^١ .

قوله تعالى: (أَمْ كَذَبْتَ) قال الرازي: (فاعلم أن (هكذا) ثلاث كلمات ، حرف التنبيه ، وكاف التشبيه ، واسم الإشارة ، ولم يقل أهذا عرشك ، ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون ثلثينا فقالت: (كأنه هو) ولم تقل هو هو ، ولا ليس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف^٢ .

ويفهم من هذا التوقف أن الجواب يحتمل إجابتين : نعم ، لا .

وقد أدركت الملكة وجه التشابه الكبير بينه وبين عرشها ، وكان بإمكانها أن تقول نعم هذا عرشي ، ولو قالت لكانت ساذجة إذ إنها ستتهم جنود سليمان عليه السلام بالنهب وهذا مما لا يتفق مع الكياسة الرسمية بين ملكة قادمة لزيارة ملك ، كما كان بإمكانها أن تجيب بـ (ليس هذا العرش عرشي ولو قالت لكانت غير فطنة إذ كيف لا يكون عرشها وهو يشبهه في معظم الأمور .

^١ ينظر ابن عاشور محمد الطاهر التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢٦٢ بتصرف ، تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٢٨٥

^٢ مفاتيح الغيب للرازي ج ١٢ ص ١٧١

وحتى تتلافى مخدور الإجابتين لجأت إلى إجابة غاية في الذكاء والفظنة (قالت كأنه هو) فاختارت أداة التشبيه (كأن) المتركية من كاف التشبيه وأن المؤكدة والتي تدل على قوة الشبه حتى كأنه لا فرق بينهما .

وقد استدعى المقام هذه الأداة بدليل أن العرش كان عرشها بالفعل ولكنها احتاطت في التعبير عندما استعملت أسلوب التشبيه بدلا من أن تقول (هو هو) أو : (ليس هو) وقوله تعالى: (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) ولم تقل لسليمان لأنها عرفت أن الإسلام لله ليس استسلاما لأحد من خلقه فإسلامها يجب أن يكون لربها".

سرد الحوار بين نبي الله سليمان ومملكة سبأ

فلما قبل ذلك أن الحوار بين سليمان عليه السلام ، ومملكة سبأ كان في حلقتين .
الحلقة الأولى : مرحلة جس النبض إذ لما جاء خبر مملكة سبأ إلى النبي الملك سليمان عليه السلام من قبل الهدد ، وما كان من خبر هذه المملكة من أنها مملكة عظيمة الشأن تحكمها امرأة ، وهؤلاء القوم يشركون بالله عز وجل ، حيث يعبدون الشمس من دون الله ، فأسرع سليمان للتأكد من الخبر بإرسال الهدد بكتاب إليهم أوله سلام وآخره إسلام ، وهنا بدأ الحوار مع نبي الله سليمان فأرسلت الملكة إلى مستشاريها لتأخذ رأيهم .
فكانوا حكماء ، حيث أظهروا الاستعداد وأظهروا الولاء والطاعة لما تأمر به الملكة ، فرأت الملكة أن تلجأ إلى السياسة ، وذلك بإرسال هدية إلى الملك عله ينصرف إن كان من طلاب المال والدنيا .

وهنا رد الملك على هذا الحوار رداً عنيفاً قصد منه تبليغ رسالة إليها وهو أن زينة الدنيا وزخرفها لا تعدو عنده شيء فإن الله تعالى آتاه ملكاً ليس لأحد ، وزاد عليه نعمة النبوة والحكمة ، ولما كان الرد بهذه الصورة تبينت الملكة أنها أمام قوة أكبر ومنطق أقوى ، فرأت أن تذهب بنفسها للحوار مع نبي الله سليمان .

وهنا تبدأ **الحلقة الثانية** من الحوار حلقة المواجهة ، فعلى الرغم من اعتبار سليمان عليه السلام أن ما فعلته الملكة من إرسال الهدية إهانة ، وأنكر ذلك عليها إلا أنه عليه السلام لم تكن هذه الإهانة من وجهة نظره لتجعله يستهين بهذه الملكة ، أو يحقر من شأنها ، أو يستضعف قوتها أمام ما

¹ مفاتيح الغيب للرازي ج ١٢ ص ١٧١

أوتي ، فأخذ في التجهيز لاستقبالها بما يجعلها تسلم بعقلها الواعي وتؤمن بقلبيها العاقل بالله رب العالمين -

إن المعجزة من أهم الطرق للإيصال للإيمان . تحدث الملك مع حاشيته من الجن والعفاريت ، والحكماء من الإنس ، وطلب منهم أن يتصدى أحدهم فيأتيه بعرش الملكة فانبهرى عفريت من الجن وانبرى الذي علم من الكتاب فكان قصارى جهد العفريت أن يأتي بعرش الملكة قبل أن يقوم سليمان من مقامه ، وكانت قدرة الذي عنده علم من الكتاب أن يأتي به في غمضة عين ، وهنا وقف سليمان وقفة مع نفسه يتحدث فيها عن فضل ربه عليه .

وتأتي الملكة ويريد سليمان ^{عليه السلام} أن يوصلها إلى الإيمان بروية المعجزات الدالة على قدرة الله فأراها عرشها وقد نكره لها ، وأدخلها صرحاً من الزجاج لما رأيته تعجبت واعتقدت أنه لجة ماء وكشفت عن ساقبيها مخافة أن تبطل ثيابها فأعلمها نبي الله سليمان أنه صرح من قوارير فعلمت الملكة أنه نبي وأنه ليس ملكاً من ملوك الدنيا ، لأن ما رأيته لم تر مثله من قبل . وهنا أظهرت الخضوع لله رب العالمين وانتظمت في سلك المسلمين المؤمنين الموحدين ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سمة الحوار بين نبي الله سليمان وملكة سبأ

وهنا نكرر ما ذكرناه فيما مضى من مباحث ، وهو أن العقل يلعب دوراً فاعلاً في هذا الحوار نلمح ذلك فيما يلي :-

(١) قبول الحوار كمنهج رئيس في حل المشكلات بين الأطراف المختلفة وكان ذلك من سليمان عليه السلام .

(أ) بإرسال الهدد برسالة قوية تخدم غرضين : أولهما التحقق من صدق الهدد فيما أخبره به ، والثاني : التعرف على ردود أفعال الملكة تجاه الرسالة وأسلوب التعامل معها ، وفي ذلك تمهيد للتغيير الذي أراده بإحداث نوع من لفت الانتباه الشديد إلى شيء آخر يجعلونه أقوى منهم ، وأقدر عليهم ، فهو يصل إلى ما لا يمكن أن يصل إليه أحد بسهولة فهي هي الطير مسخرة له .

وبخلق هذا الجو يمكن أن تتغير عقيدتهم الفاسدة المسيطرة عليهم .

(ب) رد هدية الملكة بأسلوب فيه تهديد ووعيد ، وكان من الممكن أن بأسر الرسل أو يقتلهم ، ولكن إعادتهم برسالة التهديد يعني أنه يريد الحوار لإيصال الملكة وشعبها إلى الإيمان بالله عز وجل .

(ت) إعداد المفاجئة للملكة والتي لا يمكن أن تكون إلا من نبي مؤيد من السماء وهما مفاجأة العرش والصرح الممرد من القوارير وكان هذا منه ﷺ من الأساليب التي لجأ إليها لإقناع الملكة بالدخول في الإسلام طوعية .

أما الملكة فكان ذلك منها

أولاً : بجمع مستشاريها لأخذ آرائهم في الكتاب الذي جاء من سليمان ﷺ .

ثانياً : التعامل مع الكتاب بلطف وأدب على الرغم من نبرة التهديد الواضحة فيه ، حيث وصفته بأنه كريم **﴿إِنَّ إِلَهِي إِلَهٌ كَرِيمٌ﴾** وكان ذلك منها لتخفيف وقع حدة الكتاب على مستشاريها حتى لا تستفزهم نبرة الكتاب .

ثالثاً : بتغليب فكرة الحوار على الصراع **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا**

أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ **﴿وَلَا فِي مُرْسَلَةٍ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاظِرَةٌ بِهِمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾** (٢٥)

رابعاً : مقابلة رد الهدية وما جاء فيها من وعيد بالنزول إلى الحوار عن قرب ، ومقابلة الملك نبي الله سليمان دون التسرع بتغليب فكرة الصراع بكون رد الهدية إهانة .

خامساً : التسليم بالنتائج بعد تبين صحتها ، وموافقتها لمنطق العقل والاعتراف بالخطأ والتوبة

منه **﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** (١١)

وهكذا نرى من خلال العناصر المعروضة أنفاً كيف أن التعقل والتفكير في محاوره الآخر كان هو الأساس في معالجة الأمر وخصوصاً إذا كان أمراً يتعلق بمصير شعب ودولة لها كيانات ومركزها ، وكيف أن الوصول إلى الحق وإيصال الخير إلى الغير كان الهدف الأسمى لكلا المتحاورين من جهة سليمان ﷺ رأى أمة ترزح تحت نير الشرك وظلمات الكفر فأبّت عليه نفسه وهو النبي المكلف بهداية الخلق أن يتركها هملأ يرعى الشيطان بعقلها في مراعي السوء ، وينبت في أدمغتها وعقولها نبات الجهل فسعى بالحكمة وبما أوتي من قوة لاسترداد هذه الأمة النათية من غيابات الجهل إلى رشد الفكر ومن نقص المعرفة إلى كمال العلم ، وذلك هدف نبيل واجب في حقه كنبى ، وواجب على الأمة أيضاً كطريق من طرق الدعوة إلى الله ، ولا يكون ذلك إلا بسلوك الحوار طريقاً .

ولم تكن الملكة بأبعد سلوكاً عن هذا الطريق فلم يصدّها علو شأنها وعظمة سلطانها ، وقوة البأس في قوادها وجنودها ، مع أوتيت من سلامة الفطرة وذكاء العقل أن تنتظر بعين الحكمة لا بعين القوة وأنّي لقوتها أمام ما أوتي سليمان ~~عليه~~ من قوة ، فلم تخذعها كلمات قوادها لكونها تجهل الطرف الآخر ولم تعلّى من ذاتها فترى نفسها ولا ترى للآخرين مكاناً بجوارها ، ولكنها تعقلت وعالجت الموضوع أولاً بالسياسة الكيّسة ، فلمّا لم تُجد معها السياسة والدبلوماسية في الرد ، رأت أن تنتظر بعينها في الدلائل على صدق الداعي لها ، ورأت باباً مفتوحاً للحوار فولجت فيه وشه درها كم كان هذا الباب الذي ولجته باب خير وسعادة لها ولشعبها ، فما يكون إصرار المشركين على شركهم بعد إذ جاءهم الهدى إلا لسخافة عقولهم وعمائتها عن الحق والتمسك بالباطل والإصرار عليه ولم تكن هذه المرأة من هذا الصنف ، وإن القرآن يقص علينا ذلك لنعتبر بحالها .

المبحث الرابع

تجربة الحوار بين نبي الله سليمان ومملكة سبأ

لعل أهم النتائج التي يمكن أن تستفاد من هذه القصة هو :-

(١) الوصول إلى المقصود بالحوار وهو إيمان الملكة وعلو الحق على الباطل لتبقى العظة والعبرة الإيمانية ماثلة للعيان ، وذلك أن الصراع ليس وسيلة للنقاهم بين دولتين كبيرتين عظيمتين ، أو صغيرتين ، أو متفاوتتين في أي شيء أحدهما دولة الإيمان وهي تملك من مقومات القوة المادية ، والروحية ما لا تملكه الأخرى ، وكان من الممكن لو لم يُحكم العقل أن تستعر نار الحرب بينهما وتزول دولة من الوجود وتهلك أمة ولكن بالتعقل ووزن الأمور سلمت دولة وأحييت قلوب أمة.

(٢) أن الإقناع كان هو السبيل بين الطرفين ، وكان من جهة سيدنا سليمان عليه السلام في استقطاب الملكة نحو الدين الحق ، ورفض المورثات التي تتعارض مع الإيمان بالله ، فإنها أُغير صالحة للحياة لما فيها من باطل وما فيها من فساد يعود على الناس بالضرر ، وأما من جهة الملكة فكان في استمالة الطرف الآخر نحو عدم استخدام العنف والمهادنة والمصالحة ولكن ذلك لم يفلح من جهة الملكة تجاه سيدنا سليمان لكون ما يدعو إليه أسمى وأعلى ، وينصب في مصلحة الطرف الآخر وهو مملكة سبأ .

(٣) من خلال القصة نفهم أن الكفر آفة عقلية ، وأن القرآن يعتمد على العقل في تكوين الإيمان ، وأن التقليد بلا عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، " وليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للغير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتركى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه ، فيعمل الخير ، لأنه يفقه الخير النافع المرضي لله ويترك الشر ، لأنه يفهم سوء عاقبته ، ودرجة مضرته في دينه ودنياه" ^١

(٤) أن المرأة ليست ضعفا دائما^٢ فبرغم ضعف المرأة الأصيل إلا أن ما ظهر في هذه القصة من حسن سياسة الملكة وتعاملها ، وبعد نظرها ، وقوة شخصيتها ، وقدرتها على تحمل

^١ ينظر مفاهيم قرآنية ص ١٢٠ بتصرف د/ محمد احمد خلف الله سلسلة عالم المعرفة - الكتاب ٧٩ .

^٢ شخصية المرأة في القصص القرآني ص ١٧٢ بتصرف

المسؤولية في أحلك الظروف والمواقف يدعنا إلى القول بما قدمنا بأن المرأة ليست ضعفاً دائماً

٥) أهمية الشورى في استئثار الملك ، والقدرة على التأثير على الآخرين باستعمال الحوار الذكي ، وتسخير أدوات العقل الراجح في خدمة أهداف الحوار ، فقد حصلت الاستجابة في الجماعية من أولئك القوم الأشداء ليس بسبب الضعف المادي ، أو قلة العدد بل بالانقياد إلى قوة عقل تلك الملكة ونصاعة حجتها ، فلم يَرُدْ أحد منهم حكمها ، ولا رأيها بالذهاب مستسلمين ليدخلوا في دين سليمان وملكه ، فكان في ذلك الخير الكثير لهم .

٦) يتبين من حوار الملكة مع سليمان عليه السلام - أهمية بناء قيمة الحرية في نفس المرأة ، وقد ظهر ذلك باستعمال الملكة لأدوات الحوار المادية والمعنوية التي ترسم صورة المرأة العاقلة اللبية إذا سددت بهدى من نور الله وإثارة من عقل نافذ وشعاع من بصيرة وحكمة لينفذ نور حكمتها في كل ما تتخذه من قرارات .

٧) يتبين أيضاً أن القوة المادية والشخصية العاقلة الفذة والحضارة الراقية إذا كانت مفتقرة إلى الجانب الروحي افتقدت أهم مقومات بقائها واستمرارها "فقد كانت عبادة مملكة سبأ للشمس من دون الله مما صدها عن حصول العلم النافع إذ أنها بذلك الاعتقاد الباطل منصرفة عن الرشد الفكري واستكمال الحضارة الصحيحة لأن أعمال الناس تتكيف بحسب ما يصدر عن معتقداتهم من أفكار وسلوك" ٢ .

٨) لعل من النتائج أيضاً من هذا الحوار الناجح الناجع التحرر من وصاية السابقين ، ذلك أنه من المعضلات التي تحدث القرآن عنها وشرجها وكانت سبباً رئيساً في إعاقة الحوار بين الرسل وأقوالهم ، ما ورثه الأبناء عن الآباء في الاعتقاد والعادات ، فقد كان عدم التحرر من الوصاية الفكرية للآباء والأجداد مشكلة أمام إعمال العقل في قضية الحوار ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ البقرة - ١٧٠- إلى غير ذلك من الآيات ومن الواضح في حوار نبي الله سليمان ومملكة سبأ أن وصايا السابقين وتقليد الآباء والأجداد كان حاجزاً أمام الإيمان بالله ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (١٣)

¹ ينظر الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن د/ هدى الدليجان ص ٦٠ وما بعد بتصرف .

² ينظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٩ بتصرف ط الدراسات التونسية للتوزيع .

تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر .

«إن سلطان التقليد وعدم مخالفة الموروث كان عائقاً أمام العقل لاستكشاف الحق ومن الواضح أن الملكة نَحَتْ ذلك جانباً عندما سلكت طريق الحوار .

(٩) من نتائج المستتبطة من دراسة القصة أن امتلاك العلم المادي والروحي لا يعني الاستعلاء على الآخر والإكراه على المتابعة بالقوة دون النظر العقلي المؤدي إلى الاقتناع ، وهذا ما كان من سليمان عليه السلام حيث سلك سبيل الإقناع رغم امتلاكه للقوة والنبوة .

الخاتمة

الحمد لله الذي بذل نعمته تتم الصالحات أحمده والتوفيق للحمد من نعمه وأشكره ، والشكر كفيل بالمزيد من فضله وكرمه ، وأستغفر الله وأتوب إليه من ذنوب تزيل النعمة ، وأسأله سبحانه أن يديم على نعمة العيش في ظلال القرآن وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ويعظم بركته ، وبعد :

لما كانت الغاية من كل عمل الثمرة التي تنتج منه ، فإني أشير في نهاية هذا البحث وخاتمته إلى بعض النتائج العامة التي يتوصل إليها من خلال التدبر لهذه الآيات من سورة النمل التي كنا بصدد النظر والتفكير فيها ، وسوف أجزها فيما يلي :-

- (١) أن القصص القرآني حق كله وصدق كله وليس فيه شائبة من خيال أو وهم
- (٢) أن الحوار منهج قرآني أصيل يتعين على الدعاة إلى الله سلوكه لأنه يتحقق من ورائه غايات نبيلة تتمثل في إقامة الحجة ، ودفع الفاسد من القول والرأي ، وتوسيع الأفق وإرساء مبدأ التسامح .
- (٣) أن القصص القرآني من أهم الوسائل التي تتخذ كمنهج في كيفية تعلم الحوار والتعامل مع الآخر ، حيث جعل الحوار بديلاً للصراع الذي يهدر الطاقات ويقوض الإمكانيات .
- (٤) احترام الإسلام للعقل البشري ، حيث بُنيت كل حواراته مع المخالفين على العقل والتعقل والتبصر للأمور .
- (٥) أن القرآن الكريم في عرض الحوار فيه حيادية ، حيث يعطي مساحة كبيرة للمخالف ، ليوضح رأيه ويكشف عن نفسه حتى ولو كان رأيه ضلالاً وباطلاً ، فالمخالف ليس مهماً في الحوار ولا ضعيفاً ولكن يكون عنده الفرصة الكاملة لكي يعبر عن نفسه وأكبر مثال على ذلك ما شهدناه في هذه القصة من أن شخصية ملكة سبأ شغلت معظم الآيات .

- (٦) احترام القرآن لعقل المرأة وعدم الاستهانة بها والخط من قدرها ، حيث أظهرها في هذه القصة في صورة امرأة يحترمها قومها حتى إنهم جعلوها وليةً لأمرهم يسمعون لها ، ويطيعون ، وأنها أرست العدل لاستعمال مبدأ الشورى وفيها جانب الحزم وفيها جانب اللين والتمس لها العذر في ضلالها وضلال قومها بعد إتباعهم للحق بقوله تعالى :

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتِ تَعْبُدِينَ دُونَ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (١٣)

(٧) الحوار في هذه القصة يعلمنا استخدام كافة الأدوات الممكنة للوصول إلى الهدف ورسم إستراتيجية للتعامل مع الآخر على حسب طبيعته ، فالناس مختلفون في أفكارهم ، مختلفون في مكانتهم الاجتماعية فلا بد من مراعاة ذلك عند الحوار والتفاوض مع الآخر.

(٨) هدفت القصة إلى الوصول للقناعة الذاتية المتمركز على الحجة والبرهان في نطاق الحوار الهادي ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ فلم تكن نظرة نبي الله سليمان في حوارهِ فرض الهيمنة على غيره كما هي نظرة المجتمع الغربي الآن في حواراته وخصوصاً بعد ظهور نظرية صدام الحضارات التي يرى صاحبها أن الإسلام وحضارته يمثلان خطراً كبيراً على ثقافة الغرب ، وحضارته فليصحح هذا المفهوم لأن مثل هذا النموذج للحوار من القرآن مثلاً على منهج الإسلام في التعامل مع الآخر.

(٩) الامتثال لأداب الحوار التي تتمثل في نبذ التعصب ، وعفة اللسان وتهئية النفس لقبول نتائج الحوار والابتعاد عن الأجواء الانفعالية وقد بدأ ذلك واضحاً في هذه القصة .

(١٠) تؤكد هذه الدراسة أن هناك فرقاً بين أسلوب الحوار في دول تقوم على العدالة والشفافية ، والشورى في كل شيء ، وأسلوب دول تقوم على التعصب للرأي وفرض الهيمنة ، والسيطرة وهو ما نراه الآن .

التوصيات

أثني بعد ذكر النتائج بالتوصيات، والمقترحات التالية:-

(١) الاهتمام بالدراسات القرآنية الذي تكشف إعجاز القرآن الكريم في كافة مناحي الحياة الإنسانية ، وإبراز عظمة القرآن في شتى المجالات .

(٢) تأصيل الحوار تأصيلاً شرعياً في ضوء القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وسيرة السلف الصالح والدعاة والمصلحين والمجددين وخصوصاً في هذا العصر الذي أصبح الحوار فيه ملحاً في كثير من القضايا مثل حوار التفاهم والتعاون ، وحوار التعرف والتواصل وحوار الدعوة والتبليغ إلى غير ذلك .

(٣) السعي إلى تكوين كوادر علمية يملكون الأدوات التي تمكنهم من إجراء الحوار على مختلف الأصعدة وفي كافة الاتجاهات .

(٤) ضرورة أن يكون للجامعات والمراكز البحثية دور فاعل في الحوارات التي تعقد ولا يقتصر ذلك على المؤسسات الرسمية التي قد تقع تحت مؤثرات كثيرة قد تؤثر سلباً على الأمة في هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية .

(٥) مد جسور التواصل بين الجامعات ، ومراكز البحث المتخصصة في الدراسات الإسلامية ، وبين المؤسسات الرسمية في عالمنا الإسلامي للاستفادة من الخبرات المختلفة في مجال التحاور .

وبعد لعل هذه الدراسة قد أضاءت شيئاً من ملامح الإعجاز في القرآن العظيم يتمثل في إظهار صلاحية القرآن لكل زمان ومكان فهو معجزة لا تنتهي ، وقد بذلت في هذا البحث جهدي واستفدت ما في وسعي مستعيناً بربي ، فإن أصبت فله الحمد والمنة وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان واستغفر الله من كل زلل وقصور وخطأ ، والحمد لله أولاً وآخراً.

مراجع البحث

القرآن الكريم

- ١- ابن شهيد ميسلون: محمد بن كمال أحمد - نظرة العجلان في أغراض القرآن ط/ المطبعة العصرية دمشق بدون تاريخ .
- ٢- ابن عاشور : محمد الطاهر - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ط/ الدار التونسية للتوزيع - تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر .
- ٣- ابن عاشور : محمد الطاهر - التحرير والتنوير ط/ مؤسسة التاريخ بيروت / الأولى ١٤٢٠ / ٢٠٠٠ م.
- ٤- ابن عبد ربه الأندلسي : شهاب الدين أحمد - العقد الفريد ط/ دار ومكتبة الهلال بيروت الأخيرة ١٩٩٩ م.
- ٥- ابن عطية : عبد الحق بن غالب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز طبعة مصححة طبعت بموافقة ورثة السيد عبد العال إبراهيم بدون دار نشر وتاريخ نشر .
- ٦- ابن فارس : أبو الحسن أحمد - معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام هارون الناشر مكتبة الخانجي بدون تاريخ .
- ٧- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - ط/ عالم الكتب للطباعة والنشر / الأولى ١٤٢٥ هـ
- ٨- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري - لسان العرب ط/ دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م / ت/ عامر أحمد حيدر مراجعة عبد المنعم خليل .
- ٩- ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري - السيرة النبوية ط/ دار الجيل بيروت بدون تاريخ ت/ طه عبد الرؤوف سعد .
- ١٠- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط/ دار التراث العربي بدون تاريخ .
- ١١- أبو حيان الأندلسي : محمد بن يوسف - لبحر المحيط في تفسير القرآن الكريم ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ١٤٢٨ هـ
- ١٢- الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الثانية ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

- ١٣- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ط/ دار بن كثير - اليمامة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م الثالثة ت/ مصطفى ديب البغا.
- ١٤- بخيت : محمد حسن أدب الحوار - بحث ضمن بحوث مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر بتاريخ ٨/ ربيع الأول ١٤٢٦هـ إبريل ٢٠٠٧م
- ١٥- حبكة الميداني : عبد الرحمن حسن - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ط/ دار القلم دمشق الرابعة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ١٦- حسان : تمام - البيان في روائع القرآن مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م
- ١٧- الخالدي : صلاح - القصص القرآني (عرض وقائع وتحليل أحداث) ط/ دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت / الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
- ١٨- الخطيب : فايز صالح - الإعجاز القرآني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بحث منشور بمجلة دمشق المجلد (١٧) العدد الثاني ٢٠٠١م
- ١٩- الخطيب: عبد الكريم- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ط/ دار الفكر العربي مطبعة المدني بدون تاريخ
- ٢٠ (٧٩) كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت عدد يناير ١٩٨٤م
- ٢١- الدليجان : هدى دليجان - الحوار مع المرأة في ضوء القصص القرآني ط/ مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ٢٢- ديوان لبید بن ربیعة العامري ط/ دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- ٢٣- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر - التفسير الكبير ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الثانية .
- ٢٤- الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد - المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ.
- ٢٥- رشيد رضا : محمد- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ط/ دار الفكر للطباعة والنشر . الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م
- ٢٦- الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ط/ مكتبة العبيكان / الأولى ١٤١٨هـ

- ٢٧- سليمان : فتح الله أحمد - الأسلوبية والأسلوب مدخل نظري ودراسة تطبيقية ط/الدار الفنية للنشر والتوزيع القاهرة بدون تاريخ.
- ٢٨- الشايب : أحمد - الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ط/ مكتبة النهضة العربية مطبعة السعادة القاهرة ١٣٩٦م/١٩٧٦م
- ٢٩- الشيباني: أحمد بن حنبل أبو عبد الله - مسند أحمد ط/ مؤسسة قرطبة - مصر - بدون تاريخ .
- ٣٠- الصابوني : محمد علي - صفوة التفسير ط/ دار الرشيد سوريا حلب بدون تاريخ .
- ٣١- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط/ مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر الأولى ١٤٢٢هـ
- ٣٢- عبد العاطي : محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي : منهجية الحوار في القرآن الكريم بحث في مجلة الشريعة والقانون كلية القانون جامعة الإمارات العدد (٣٥) رجب ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- ٣٣- عليان : مصطفى - بناء الشخصية القرآنية - ط/ دار البشير للنشر والتوزيع عمان الأردن / الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٣٤- فلمبان : هلال حسين - دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب ط/ مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٩هـ
- ٣٥- قطب : سيد - التصوير الفني في القرآن الكريم ط/ دار الشروق الرابعة ١٣٩٨هـ - / ١٩٧٨م .
- ٣٦- قطب : سيد - في ظلال القرآن ط/ دار الشروق الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ
- ٣٧- القنوجي : صدين خان - فتح البيان في مقاصد القرآن ط/ دار الكتب العلمية بيروت / الأولى ١٤٢٠هـ .
- ٣٨- القوسي : مفرح بن سليمان - ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي ط/ مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- ٣٩- كتاب الندوة العالمية للشباب : أصول الحوار ط٣/ ١٤٠٨هـ
- ٤٠- لقمة : محمد محمد - الجم أنب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

- ٤١- المراغي : أحمد مصطفى - تفسير المراغي - ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان بدون تاريخ .
- ٤٢- مسلم : أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري - صحيح مسلم ط/ دار إحياء التراث بيروت ت/ محمد فؤاد عبد الباقي بدون تاريخ.
- ٤٣- المغامسي : خالد بن محمد - الحوار آدابه وتطبيقاته ط/ مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الطبعة الثانية الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٤٤- المناوي : محمد عبد الرؤف - التوقيف على مهمات التعريف ط/ دار الفكر المعاصر بيروت بدون تاريخ.
- ٤٥- نورة بنت محمد بن فهد : شخصية المرأة في القصص القرآني دراسة أدبية تحليلية - دار بن الجوزي للنشر والتوزيع / الأولى ربيع الأول ١٤٢٧هـ...
- ٤٦- الهيتي : عبد الستار - الحوار مع الذات والآخر سلسلة كتاب الأمة ١٤٢٥هـ. الكتاب التاسع والتسعون ط/ الأولى .

مواقع الكترونية

- ١- موقع الدكتور محمد المحمدي أستاذ الإدارة الإستراتيجية كلية التجارة جامعة القاهرة www.almohamady مقالين بعنوان " هدهد سليمان عليه السلام ودروس عظيمة في الإدارة (١) ، (٢) .
- ٢- موقع الكتاب الإلكتروني www.islamicbook.ws موقع جوريسبيديا القانون المشارك مقال لمحمد السلواني بعنوان " فقه الحوار والواقع المعاصر .
- ٣- موقع شبكة المنهاج المسلم (مقال للدكتور عبد الله سليم الرشيد بعنوان " نفحات من بلاغة القرآن الكريم ")
- ٤- موقع مجلة الرشد الصادرة بشيكاغو www.alrashad.org مقال للدكتور المقرئ أبو زيد الإدريس أستاذ اللسانيات بجامعة الحسن الثاني بعنوان لغة الحوار ، ومقال آخر بعنوان " منهج الحوار في القرآن .